روايات
عالمية
للفتيان

جزيرة الدلافين الزرق

تأليف سكوت اورويل



ترجمة : مروان ابراهيم صديق



جزيرة الدلافين الزرق



فريق التوثيق الألكتروني

جزيرة الدلافين

تأليف سكوت اورويل
ترجمة مروان ابراهيم صديق
الطبعة الاولى ١٩٨٩
الناشر دار ثقافة الاطفال
العراق - بغداد ص .ب ٨٠٤١

روايات عالمية للفتيان
سلسلة تصدر عن قسم النشر
دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة: فاروق سلوم
سكرتير التحرير - فاروق يوسف

جزيرة الدلافين الزرق

المقدمة

شخصية (روبنسن كروزو) الشُهيرة للكاتب دانيال ديفو (١٧١٩) هي مثال فريد لكفاح رجل وجد نفسه فجأة وحيداً وسط جزيرة نائية فلم يدخل اليأس الى قلبه ولم يقنط بل استغلّ كل طاقات عقله من أجل البقاء حياً، وصارع قوى اكبر منه مثل الريح والعواصف والامطار والجفاف والجوع . . . الخ . لكن (روبنسن كروزو) كان شخصية خيالة من ابتداع ذهن الكاتب.

أما قصة «جزيرة الدلافين الزرق» فهي ليست من بنات أفكار الكاتب الامريكي «سكوت اوديل» ولا هي مغامرة جديدة ابتدعها هذا الكاتب ليضاهي بها قصة (روبنسن كروزو) الشهيرة بل هي وبكل بساطة قصة حقيقية لفتاة عاشت بالفعل وحيدة منذ سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٥٣ في جزيرة سان نيكولاس.

وتشير الروايات الرسمية التي أُخذت من مذكرات قبطان السفينة (هوبرد) الذي أجلى السكان أول مرة عن الجزيرة.

ومذكرات القبطان (نيدفر) الذي جلب الفتاة من

الجزيرة بعد ثمانية عشر عاماً، ومذكرات القس (نحونز السن) الذي اعتنى بها بعد أن جلبت من الجزيرة، كل هذه التقارير تشير الى وجود مثل هذه الفتاة بالفعل.

دفنت هذه الفتاة في جزيرة (سانتا باربا) بالقرب من الكنيسة التي بقيت فيها حتى مماتها. وكان القس قد أرسل ثوب الفتاة الذي صنعته هي في الجزيرة من ريش غربان البحر الى روما.

تقع جزيرة سان نيكولاس (جزيرة الدلافين الزرق) على بعد ٧٥ ميلاً بحرياً من الجنوب الغربي من كاليفورنيا. وقد اكتشفت اول مرة من قبل القبطان الاسباني (سبستيان فينكاينو) سنة ١٦٠٢ حين كان يبحث عن مرفأ طوارىء للسفن التجارية القادمة من الفلبين الى أمريكا الجنوبية واطلق عليها اسم سان نيكولاس تيمّناً بقديس البحارة والمسافرين والتجار.

المترجم

الفصل الاول



مازلت اتـذكـر ذلـك اليوم الـذي وصلت فيه سفينه الاغـراب الى جزيرتنا. كانت تبدو مثل أية محارة تطفو على سطح البحر، ثم كبرت حتى تحولت الى طائر نورس

وقد بسط جناحيه. واخيراً رأينا بوضوح كنه ذلك الشيء تحت أشعة الشمس التي صعدت نحو الافق: كانت سفينة مصبوغة باللون الاحمر ذات أشرعة من اللون نفسه.

ذهبت أنا وأخي الى الطرف البعيد من ذلك الاخدود الذي يفضي الى خليج شاطىء المرجان الصغير. وكنا قد عزمنا على قطع بعض الجذور التي نمت في الربيع.

كان عمر أخي (رامو) نصف عمري تقريباً ـ كنت سأبلغ الثانية عشرة من عمري في موسم الحصاد القادم ـ كان صغير الحجم قياساً لمن في عمره، لكنه كان سريع الحركة مثل جرادة ومجنونا مثلها عندما كان يستفز، ولهذا السبب، ولانني اردت منه معاونتي في قطع الجذور بدل أن يهرب كما هي عادته، فقد آثرت عدم اخباره عن تلك المحارة العائمة أو طائر النورس الذي يبسط جناحيه.

مضيت في بحثي بين الاعشاب وانا استخدم عصاي المدببة كما لو ان شيئا لم يحدث في البحر واستمريت بهذا النحو حتى بعد ان تيقنت من ان ذلك النورس لم يكن سوى سفينة ذات شراعين أحمرين.

كانت عينا (رامو) من تلك العيون التي لا تدع شيئا

يفلت منها الا وترصده. كانت عيناه سوداوين كبيرتين مثل عيون الضب. وفي بعض الاحيان كانتا تبدوان مغمضتين ثم تنفتحان على وسعهما في اللحظة التي يشاهد فيها شيئا مثيرا.

هكذا كانت عيناه في تلك اللحظة، نصف مغمضتين مثل عيون الزواحف القابعة بين الصخور متوثبة لاطلاق لسانها لصيد حشرة ما.

قال رامو:

- البحر هادىء. انه يشبه صخرة منبسطة وملساء.

كان أخي يحب تسمية الاشياء بغير اسمائها الحقيقية.

قلت له:

- كلا، فالبحر ليس صخرة ملساء. انه ماء كثير ساكن الحركة الآن.

أجابني:

- انـه صخرة زرقاء بالنسبة لي. وتجلس عند حافته البعيدة غيمة صغيرة.

- الغيوم لا تجلس على الصخور حتى لو كانت زرقاء او سوداء أو أي شيء آخر.

- هذه الغيمة تفعل هذا.

أجبته :

ـ كلا، فهي لا تفعل هذا في البحر. فالدلافين وطيور النــورس وغـربـان البحـر هي التي تفعـل هذا.وحتى الحيوانات البحرية والحيتان تقوم بهذا الشيء. لكن الغيوم لا تجلس ابدا.

ـ ربما هو حوت إذن.

كان (رامو) يقف في كل مرة على احدى قدميه ويراقب بانتباه السفينة القادمة. فهو لم يكن قد شاهد حتى تلك اللحظة أية سفينة. ومع اني لم اكن قد شاهدت كذلك اية سفينــة الا اني كنت اعلم بوجـودهـا وشكلهـا من أحاديث الكبار.

قلت له :

ـ بينما تقوم أنت بتأمل البحر سأقوم أنا بقطع الجذور وأكلها.

أخذ (رامو) ينقب الارض بعصاه لكنه كان مقتنعاً بأن السفينـة كانت تقـترب منـا بشراعها الاحمر وهي تشق مسيرها وسط الغيوم الصباحية . وكان يختلس النظر بين الحين والحين الى السفينة ويتجاهلها أحياناً.

ـ هل رأيت من قبل حوتاً بلون احمر؟ سألني رامو.

أجبته :

ـ طبعاً، ولكنني لم اشاهده بمثل هذا اللون من قبل. الحيتان التي شاهدتها كانت رمادية اللون.

ـ أنت مازلت صغيره ولاتعرفين كل الحيوانات البحرية في العالم.

كان (رامو) على وشك ان يضع احد الجذو في السلة عندما فتح فاه واغلقه بسرعة وصرخ:

ـ زورق ! زورق اكبر من كل الزوارق التي لدينا مجتمعة ! وهو أحمر أيضاً.

وقبل أن يستعيد أنفاسه القى بالجذور الى الارض وجرى بين الشعب الصخرية وهو يصرخ بكل قواه.

استمريت بجمع الجذور لكن يديّ كانتا ترتجفان وهما تنبشان الارض من شدة الانفعال،كنت اعرف ان ذلك الشيء كان سفينة ، وليس زورقاً كبيراً،وأن ظهورها يعني حدوث أشياء كثيرة. رغبت بإلقاء عصاي المدببة والجري مثل ما فعل (رامو) لكنني مضيت في عملي في استخراج الجذور لانها كانت مادة غذائية يحتاجها أهل القرية.

عندما ملئت السلة، كان الزورق القادم من جزيرة (اليونياتو) قد وصل الى شريط الصخور المليئة بالطحالب

وطاف حولها ودخل بين الصخرتين اللتين تحميان جزيرة شاطىء المرجان من ارتطام الأمواج.

كان احدٌ ما قد حذّر أهل القرية . فحمل الرجال أسلحتهم وتمركزوا عند التل المطل على الشاطىء. أما النساء فقد احتشدن في الطرف الاقصى من الهضبة المائلة قرب الشلال.

انزلقت عبر الشعب المتفرعة الكثيفة حتى وصلت الى الجزء الداخلي لاحد الوديان واقتربت من المرتفعات التي تطل على البحر.

وعندما وصلت الى هناك استلقيت على الارض واخذت اراقب المرفأ الذي ذكرته. كان البحر هادئاً وأشعة الشمس تسطع بقوة على الرمال البيض لذلك الشاطىء الصغير.

أصطف نصف رجال قريتنا على طوال حافة الماء أما البقية فقد اختفوا بين الصخور التي تقع في نهاية الطريق وهم على استعداد للهجوم على الاغراب امام اية بادرة عدائية منهم.

عندما كنت مختبئة بين الصخور وانا احاول تفادي انزلاقي والسقوط الى الأسفل رأيت ان احد الزوارق قد

انفصل عن السفينة. كان على متنه ستة رجال يجذفون بمجاذيف طويلة جدا. كانت وجوههم عريضة وشعورهم طويلة تنسدل على الجانبين . وعندما اقتربوا اكثر رأيت انهم كانوا يتزينون بعظام صغيرة في انوفهم. وفي مؤخرة الزورق ، وخلف المجذفين وقف رجل طويل ذو لحية صفراء. ولم أكن حتى تلك اللحظة قد شاهدت رجلا مثله، لكن أبي كان قد قص علي في مناسبات وجود مثل هذا الرجل، وسألت نفسي وأنا أشاهده واقفاً هناك منفرج الساقين، وهو يحمل الخناجر في وسطه اذا كان هو واحداً من اولئك الرجال القادمين من الشمال الذي يخشاه رجالنا.

كنت واثقة من ذلك عندما هبط الرجال من الزورق ثم قفز هو على الرمال وهو يصرخ.

أيقظ صوته عدة أصداء في كل الجدران التي كانت تحيط بوهدة الساحل وتلفّظ عدة كلمات غريبة تختلف عن لهجتنا تم توجه نحو محاربينا بهدوء وتكلم معهم بلهجتنا:

- جئت أنشد السلام والرغبة في التفاوض.

حذّر الرجل رجال قبيلتنا الذين كانوا يراقبون الموقف

من الضفة وهم صامتون.

لم يجبه احد ولكن أبي خرج من مخبئه وتوجه نحوه وغرس بقوة رمحه في الرمال وقال:

- انا رئيس قبيلة (جالاس ات) واسمي الرئيس جويخ.

اندهشت كثيراً عندما أعطى ابي اسمه الصريح الى ذلك الاجنبي. فكل شخص في قبيلتنا له اسمان الاول حقيقي وهو السري الذي قلما يستعمله والثاني الذي نستعمله في حياتنا اليومية. ويعتقد أهل القرية انهم اذا استعملوا الاسم السري فانهم سيستهلكونه ويفقدون قوتهم بعد ذلك. ولذلك فأن اسمي الثاني هو (دن أبالي) ويعني (الفتاة ذات الشعر الاسود الطويل) اما اسمي السري هو (كارانا). ومع ذلك لم اعرف السبب الذي دفع أبي بالبوح بأسمه السري.

ابتسم الغريب ومد يده الى ابي وقدم نفسه على انه القبطان (اورلوف). رفع أبي يده محييا اياه. ولم يكن بأستطاعتي رؤية وجه أبي من مكاني وكنت أشك في انه ردّ على ابتسامة القبطان (اورلوف) الذي قال:

- لقد وصلت هنا مع اربعين رجلا جئنا لكي نصطاد

عجـول البحـر ونرغب في اقامة مخيمنا في جزيرتكم في الوقت الذي نقوم بالصيد.

لم يتفوه أبي بأية كلمة. كان رجلا طويلا ولكنه لم يكن بطول القبطان اورلوف. ويبدو أن أبي لم يكن مستعجلا للرد عليه لان الاغراب كانوا قد زاروا جزيرتنا قبل هذه المرة قبل مدة طويلة وسببوالنا المشاكل.

قال القبطان عندما شاهد أبي صامتا:

ـ أنت تتـذكر اننا جئنا للصيد في أوقات اخرى. أنا كذلك كنت قد سمعت بتلك الفترات. لقد قاد الرحلة الاخـيرة القبـطان (ميتريف) لكنـه كان قبطانا غبيا وقد حدثت كل تلك المشـاكـل لانـك وقـومـك قمتم بكـل العمل. لكنه توفي الان.

قال أبي:

ـ ان هذا الذي تسمية غبيا لم يعطنا فرصة للراحة لقد جعلنا نصطاد طوال اليوم والليل من دون توقف.

ـ هذه المـرة لن تفعـل لا انت ولا قومك أي شيء، سيقوم رجالي بكل شيء، ثم سنقتسم ما نصطاده معكم جزء لكم سندفعه مقابل بضاعتنا وجزئين لنا.

لكن أبي حذره قائلا:

ـ يجب ان تكون الحصص متساوية .

نظر الكابتن (اورلوف) الى البحر وقال:

ـ سنتحدث عن هذا الموضوع بعد حين، عندما ينزل رجالي مع امتعتهم الى البر.

كان ذلك الصباح هادئاً لكننا كنا قد دخلنا في الفصل الذي نتوقع فيه هبوب العواصف، لهذا عرفت سبب عجالة الغريب على النزول الى جزيرتنا.

قال أبي :

ـ من الافضل الوصول الى اتفاق الآن.

ابتعد القبطان (اورلوف) عدة خطوات عن أبي ثم رجع ونظر الى عين أبي مباشرة وقال:

ـ جزء لكم وجزئين لنا تبدو قسمة عادلة ، ثم اننا سنقوم بكل العمل وسنكون نحن من يتعرض للمخاطر.

هزّ أبي رأسه بالنفي.

حك القبطان لحيته وقال:

ـ مادام البحر ليس ملككم فلم يجب علينا ان نعطيكم شيئا؟

ـ إن البحر الذي يحيط بجزيرة (الدلافين الزرق) هو ملكنا .

أجاب أبي بهدوء شديد دليلاً على امتعاضه .

ـ أتقصد من هنا الى ساحل سانتا باربا ؟ عشرون ميلا بحريا؟

ـ كلا، ما يحيط بجزيرتنا فقط. حيث تعيش عجول البحر.

أصـدر القبطان عدة اصوات تشبه السعال ونظر الى رجـال القبيلة المصـطفـين عند حافة البحر والى الرجال الذين كمنوا بين الصخور ثم نظر أخيراً الى ابي وهزّ كتفيه وابتسم وهو يكشف عن اسنان كبيرة وقال :

ـ حسن، ستكون الحصص متساوية، النصف لكل واحد.

وقال شيئاً آخر لكني لم اسمعه اذ ان الغضب الذي سيطر عليّ جعلـني اضرب الارض بالحـجـارة، لكن الحجارة تدحرجت من أعلى الوهدة وسقطت الى الاسفل عند قدمي القبطان (اورلوف). نظر الجميع الى الاعلى، لكنني ، تسلّلت بهدوء وخفة من مكاني وشرعت بالجري من دون توقف حتى وصلت الى حيث كانت النسوة مختبئات.



الفصل الثاني



نزل رجال القبطان (اورلوف) الى الارض في ذلك الصباح، وقاموا بعدّة جولات بين السفينةوالشاطيء.

ولما كان الشاطىء صغيراً يغمره المد بسرعة فقد طلب

القبطان الاذن من أبي بأقامة مخيّمهم في منطقة اخرى. وافق أبي على طلبه.

من الضروري أن أوضح شيئا ماحول جزيرتنا لكي يعرف القراء أين يسكن أهل القرية وفي اية منطقة أقام الأغراب معسكرهم ذلك الصيف.

يبلغ طول جزيرتنا فرسخين وعرضها فرسخاً واحدا(١). وعندما يقف احدنا وسط الجزيرة فسيتملكه احساس بأن الجزيرة تبدو مثل السمكة او كدلفين وسط البحر. يشير بذيله الى منطقة ومخطمة نحو (بونينته)، وتشكل زعانفه هادية بحرية لاتبعد كثيرا عن الشاطىء.

ولست ادري اذا كانت تسمية الجزيرة بأسم (الدلافين الزرق) قد جاءت بسبب شكلها العائم او لان احدا ما قد عمدها بهذا الاسم في الايام الاولى لنشوء العالم عندما كانت الارض في اوائل تكوينها وعندما كان هو واقفا يشاهدها من اعلى التلال الموجودة وسط ارضه. او لربما لان الظروف شاءت ان تعيش الدلالفين الزرق في المياه القريبة من جزيرتنا. وعلى اية حال هكذا سميت الجزيرة.

واعتقد ان اول ما يمكن ملاحظته في الجزيرة هي الريح، فقد كانت تهب كل يوم تقريبا، تهب احيانا من

---

(١) الفرسخ = ٣ أميال (المترجم)

الشمال الشرقي واحيانا من الشرق وفي مرات قليلة كانت تهب من الجنوب.

وكانت تلسع جزيرتنا ـ عدا تلك الرياح التي تأتي من الشمال ـ وتحدث في تلالها ارتفاعات خفيفة، كانت من القوة بحيث انها جعلت اشجارنا ضعيفة مقوسة منحنية دائما الى الارض.

كان سكان الجزيرة يسكنون في شرق التلال على هضبة منبسطة صغيرة لاتبعد كثيرا عن شاطىء المرجان وعن احد الينابيع الصافية.

اما الاغراب فقد سكنوا بجانب نبع آخر لايبعد كثيرا عن ذلك النبع الموجود في شمال الجزيرة.

كانت خيامهم مصنوعة من الجلود ومثبتة على الارض مباشرة من دون ان تكون لها فتحات للدخول، الامر الذي اجبر الرجال على الزحف للدخول الى الخيمة.

في تلك الليلة حذّر ابي سكان القرية من زيارة مخيم الاغراب وقال لهم :ـ

ـ لقد جاء الاغراب من بلد بعيد يقع في الشمال فلا

عاداتهم ولالغتهم تشبه عاداتنا ولغتنا . لقد جاءوا لصيد عجـول البحـر وتبـادل بضائعهم معنا، وبهذه الطريقة سنخرج رابحين.
لكننا لن نقدم لهم اي عون ولن نقيم معهم اية صداقة فهم اناس لا يعرفون للصداقة معنى. انهم ليسوا أولئك الذين حضروا الى هنا قبل عدة سنوات ولكنهم ينتمون الى القبيلة نفسها التي سببت لنا اضرارا كبيرة قبل عدة سنوات.

اطاع سكان القرية كلمات ابي. فلم نذهب الى مخيم الاغـراب ولاهم جاءوا الينـا. ولكن هذا لا يعني اننـا اغمضنا اعيننا عما كانوا يفعلون في الجزيرة، وماذا كانوا يأكلون وكم عجل بحر اصطادوا واشياء اخرى مشابهة. كان براقبهم سكان قبيلتنا من اعلى وهدة الساحل او من مكان مرتفع اخر عندما كانوا يصطادون او كانوا يرجعون الى مخيمهم.

كان (رامو) يجلب اخبار القبطان (اورلوف) ويقول:
ـ عنـدمـا يخرج القبطان في الصباح زحفا من تحت خيمتـه كان يجلس على صخرة ما ويبدأ بتمشيط لحيته حتى تصبح ملساء لامعة مثل جناح غراب البحر.

اما اختي (اولابه) التي تكبرني بعامين فقد كانت تجلب لنا الاخبار الحديثة والطريفة. فقد اقسمت باغلظ الايمان انها شاهدت فتاة بين الصيادين الوافدين الى الجزيرة وقالت:

- كانت تلبس الجلد مثل الرجال وتعتمر قبعة يظهر من تحتها شعرها الطويل الكثيف.

لم يصدق احد ما قالته (اولابة) فقد ضحك الجميع من فكرة ان الصيادين جلبوا معهم احدى زوجاتهم في تلك الرحلة.

لكن الاغراب كانوا يراقبوننا هم ايضا، ولو لم يكن كذلك لما عرفوا بالحدث السار الذي حصل للقبيلة بعد ان وصلوا الى الجزيرة.

في بداية فصل الربيع لم يكن هناك سمك كثير في المياه القريبة من منطقة سكننا وكانت الامواج العالية والرياح الشديدة تجعل الاسماك تهرب الى الاماكن العميقة وتمكث هناك حتى تهدأ العواصف. وكان من الصعوبة بمكان اصطياد الاسماك في هذا الفصل. ولهذا لم يكن سكان القبيلة يأكلون كثيراً من لحوم الاسماك وكانوا يتغذون غالبا على البذور التي يحصدونها في الخريف.

امـا النبأ السعيد فقد جلبته لنا (اولابه) عصر يوم ما عندما ذهبت الى هادية بحرية تقع في الجزء الشرقي من الجـزيرة وكـانت قد ذهبت هناك على أمل التقاط بعض القواقع البحرية وفي طريق عودتها الى البيت عن طريق الشعب الصخرية سمعت صوتاً خلفها .

في البداية لم تستطع (اولابه) تمييز مصدر الصوت او سببه واعتقدت انه صدى الرياح العالية التي كانت تدخل الكهوف المنتشرة في تلك المنطقة . كانت توشك ان تمضي في سيرها عندما شاهدت ظلالا كثيرة تتحرك في قعر الشاطيء .

كانت هذه الظلال تتحرك بسرعة وفي لحظتها عرفت ان ما تشاهده هو سمك (الفرخ) . كانت هذه الاسماك قد دخلت الى الشاطىء من دون ان تعرف ضحالة مياهه ويبدو انها دخلته خوفا من الحيتان التي طاردتها لما لم تجد امامها من طعام تاكله .

تركت (اولابه) سلة القواقع وهرعت نحو سكان القرية ووصلت بأنفـاس متقـطة واشارت بأتجاه الشاطىء من دون ان تتفـوه بكلمة واحدة. كانت النسوة تعد العشاء آنذاك لكن الجميع هرع نحوها والتفوا حولها وانتظروا ما

كانت تريد قوله .
واخيراً قالت :
ـ كمية كبيرة من سمك الفرخ .
ـ أين؟ . سأل الجميع .
ـ هناك بين الصخور. كميات كبيرة منها . ويمكن ان يكون هناك اكثر.

وقبـل ان تكمل (اولابه) قولها كان الجميع قد هرعوا نحو الشاطىء على أمل الوصول بسرعة قبل عودة الاسماك الى البحر بفعل ضربات ذيولها او بسبب موجة عالية قد ترجعها الى البحر.

استـطعنـا الـوصـول الى حافـة الـوهـدة الصخـرية ومشاهدتها هناك في الاسفل . كانت الاسماك تلمع تحت اشعة الشمس في المكان الذي ذكرته اختي نفسه . وخوفا من وصول المد والامواج العالية هرعنا بسرعة قبل ضياع الـوقت . اخـذت النسوة بنقل كل زوجين من الاسماك بسبب كبرها وثقلها الى حيث كنا نسكن .

تعشت القبيلة كلهاً ذلك اليوم واليوم الذي تلاه من ذلك السمك اللذيذ . وفي اليوم الثالث جاء صيادان من الأغراب وطلبا الحديث مع ابي وقال احدهما:

ـ لديك سمك كثير.

أجاب ابي :

ـ ما يكفي للسكان فقط .

ـ لقد اصطدتم اربع عشرة سمكة . اكد الزائر بدقة .

ـ لقد بقي لدينا سبع وسنأكلها .

ـ تستطيعون اعطاءنا اثنتين منها .

ـ ان عددكم اربعون شخصا وانتم اكثر عددا من كل سكان قبيلتي . لقد جلبتم معكم السمك الجاف .

ـ لقد سئمنا أكل السمك الجاف . قال الغريب .

كان رجلاً قصيراً لا يكاد يصل الى كتف ابي . عيناه مثل صخرتين سوداوين وفمه رفيع مثل حد السكين . اما الاخر فقد كان يشبهه تماما .

قال ابي :

ـ اذهبوا واصطادوا سمكا طازجا اذا كنتم قد تعبتم من أكل السمك الجاف . انا اهتم بشعبي فقط .

ـ سنقول للقبطان (اورلوف) انك لا تقاسمنا أسماكك .

ـ نعم ، تستطيعون ان تنقلوا هذا له . ولكن عليكم ان تقولوا له السبب الذي دعاني الى ذلك .

تمتم الغـريب شيئـا ما في اذن صديقـة ثم تحـركـا بأرجلهم القصيرة نحو الكثبان الرملية التي كانت تفصلنا عنهم .

أكلت قبيلتي بقية الاســماك في تلك الليلة واقمنـــا احتفــالاً كبيرا بالمناسبة . لكننا لم نكن نعرف عندما كنا نغـني ونلتهم السمـــك، وعنـــدمـــا كان شيوخ القبيلة يتسامرون حول النار

ويتذكرون الماضي ان ذلك الصيد الكبير سيجلب لنا الشؤم .

الفصل الثالث



كان شريط الطحالب الذي يحيط بجزيرتنا من جهاتها الثلاث يصل احيانا قرب الشاطىء ثم يتوغل عميقا في البحر في الجانب الاخر.

استمـر الاغراب في صيدهم في تلك الجهة حتى في الأيام العـاصفـة وكـانوا يغادرون الشاطىء عند الفجر ويركبـون زوارقهم الجلدية ولا يعـودون الا قبـل غياب الشمس وهم يحملون صيدهم من عجول البحر.

وعجول البحر تشبه الى حد كبير حيوان الفقمة أو اسد البحر لكنها في الواقع تختلف كثيرا عنها فخطمهاافطس ولها اصبعان متحدان بغشاء بدل الزعانف اما جلدها فهو اكثر نعومة وأجمل.

وعجل البحر يحب الاستلقاء على ظهره في الشمس او النوم على الصخور المليئة بالطحالب والتحرك في المياه الى الاعـلى والاسفـل حسب حركـة البحـر. وهي من اكثر الحيوانات البحرية حبا للعب على الاطلاق.

كان الاغـراب يصـطادون هذه الحيوانـات من اجل جلودها. وكنا نستطيع مراقبتهم من اعلى الوهدة وهم في حركـة دؤوبـة يطلقـون نبـالهم على الحيوانات ويجلبون غنائمهم الى الشاطىء يسلخون جلودها في الليلة نفسها.

وفي الصباح كنا نشاهد الشاطىء ممتلئا ببقايا الحيوانات ونشم رائحة دمادئها النتنه.

وفي كل ليلة يجتمـع اعضـاء قبيلتنـا ليعـطوا رقم

الحيوانـات التي تم صيدهـا ويفرحون وهم يفكرون بما سيحصلون عليه مقابل كل جلد من الزجاج والاشياء الاخرى.

أمـا انـا فلم اذهب ابـدا الى الخليج وكنت اشعـر بالغضب كلما كنت اشـاهد الصيادين وهم يغطسون في الماء ويطلقون نبالهم على عجول البحر. فقد كنت احب هذه الحيوانات وأُسَرُّ لرؤيتها وهي تلعب على الشاطىء وتمرح. وكنت افضل مشاهدتها بهذا الشكل على حصول قلادة من زجاج.

وفي يوم من الايام تحدثت مع ابي حول الموضوع وقلت له.

ـ لم يبق الا عدد قليل من عجول البحر، لقد كان هناك الكثير قبل وصول الاغراب.

أجابني وهو يبتسم على ملاحظتي الطفولية:

ـ لكنهم موجـودون في منـاطق اخرى من الشاطىء وسيزداد عددهم عندما يغادر الصيادون.

ـ لن يبقى منها شيء حتى ذلك الوقت. سيقضي عليها الاغراب.

لقـد ذهبوا هذا الصباح نحو الجنوب وسينتقلون من

مكان الى اخر من دون توقف.

ـ لقد امتلأت سفينتهم بالجلود وسيغادرون في غضون اسبوع.

كنت واثقة من ان ابي كان قد قدر الموضوع بهذا النحو لانه كان قد أمر قبل يومين بعض شباب القبيلة اعادة بناء زورق خشبي قذفته الامواج الى الشاطىء.

الواقع لم يكن في جزيرتنا سوى تلك الاشجار الصغيرة المعوجة التي تحنيها الرياح كل يوم، وكنا في بعض الاحيان نجد بعض الاخشاب مرمية على الشاطىء بفعل الامواج فنحملها الى القرية ونصنع منها زورقاً.

وكنا نخشى تركها على الشاطىء لئلا يرجعها المد الى البحر مرة اخرى.

وكان عمل الشباب في الخليج ونومهم بجانب الزوارق يعني مراقبة الاغراب وتحذير بقية رجال القبيلة في حال قيام القبطان (اورلوف) بأية محاولة للهرب بكل الصيد.

في تلك الايام توالت علينا الاخبار من كل حدب وصوب اذ قالت لنا (اولابه) انها شاهدت المرأة الاليونياتية امضت كل وقت الظهر وهي تغسل ملابسها الجلدية. ثم اخبرنا (رامو) انه شاهد القبطان وهو يمشط لحيته. وقال

ان الرجال المكلفين بشحذ نبال الصيادين قد تركوا عملهم وتفرغوا الى سلخ عجول البحر التي يجلبها اصدقاؤهم عند المساء . . . الخ .

كان سكان القرية يعرفون جيداً ان القبطان اورلوف وصياديه كانوا مستعدين لمغادرة الجزيرة . ترى اكانوا يفكرون في اعطائنا حصتنا مقابل جلود عجول البحر او انهم فكروا بأستغفالنا بهربهم تحت جنح الليل؟ كان الجميع يتحدث حول الموضوع نفسه ودارت تلك الاسئلة في اذهان سكان القرية في الوقت الذي كان الاليونياتيين يستعدون للمغادرة .

لكن ابي ظل صامتا واخذ يعمل بجد ليلا ونهارا بزورقه الخشبي الجديد .



الفصل الرابع



استعد الصيادون للمغادرة في يوم غائم. كانت الامواج الشمالية العاتية تضرب سواحل الجزيرة وترتطم بقوة على الصخور ثم تتغلغل داخل الكهوف القريبة من

البحر. وكان واضحا ان العاصفة كانت ستهب قبل حلول الليل.

شدَّ الاغراب رحالهم وهبطوا بخيمهم وامتعتهم الى ساحل شاطىء المرجان قبل الفجر بقليل.

لم يكن القبطان (اورلوف) قد اعطى ابي ثمن عجول البحر التي قتلها رجاله.وما ان وصلت الانباء الى رجال القبيلة من ان الصيادين قد شدوا رحالهم حتى خرج الرجال نحو الشاطىء وهم مدججون بالسلاح تتبعهم نساؤهم. سلك الرجال الممر النازل الى الساحل في حين اختبأت النسوة بين الاحراش والصخور الكثيفة لوهدة الشاطىء التي تطل على البحر.

اما انا واولابة فقد ذهبنا الى الطرف البعيد من الوهدة الصخرية واختبأنا هناك ونحن نراقب كل ما يحدث على الساحل.

كان البحر في حالة جزر وظهرت الصخور والساحل والقوارب مليئة بحزم جلود عجول البحر. كان نصف الصيادين في المركب والنصف الاخر مغمورين في الماء الى وسطهم وهم يحملون الجلود لنقلها الى الزوارق وكانوا يضحكون من غير ان يتوقفوا عن العمل وهم سعداء

بقرب مغادرتهم الجزيرة.

كلّم ابي القبطان (اورلوف) ولم يكن باستطاعتي سماع ما كان يدور بينهما بسبب الضجة التي كان يحدثها الصيادون ولكنني عرفت من حركات ابي انه لم يكن سعيداً.

هَمَسَتْ اولا به:

ـ إنه غضبان.

قلت لها:

ـ كلا، ليس بعد، فهو عندما يغضب يجر اذنه كما هي عادته.

ترك الصيادون الذين كانوا ينقلون الجلود الى الزوارق اعمالهم واخذوا بمراقبة ابي والقبطان. بينما راح رجال قبيلتنا يراقبون الموقف بصمت.

غادر احد الزوارق باتجاه السفينة وكان محملاً بالجلود وعندما وصل الى هناك لوّح لهم القبطان اورلوف. وعمل اشارة ما.

وعندما رجع الزورق كان على متنه صندوق اسود كبير حمله صيادان والقياه على الرمال.

رفع القبطان (اورلوف) غطاء الصندوق واخرج منه

عدة قلادات زجاجية تلألأت تحت اشعة الشمس القليلة وحبست اولا به صرخة كادت ان تطلقها بينما استطعنا سماع صيحات فرح نساء القبيلةالمختبئات بين الصخور.

لكن تلك الصرخات توقفت فجأة عندما هزّ أبي رأسه وسار بعيداً عن الصندوق . صمت الاغراب وترك رجالنا مواقعهم وتقدموا بضع خطوات الى الامام بأنتظار اشارة من ابي .

لكنه قال :

ـ حفنة من الزجاج مقابل كل جلد لم يكن هو الاتفاق الذي عقدناه .

ـ زجاج وروؤس حديدية لصنع الرماح . اجاب القبطان .

ـ لا يحتوي الصندوق على كل هذا .

ـ ولكن هناك صناديق اخرى في السفينة .

ـ اجلبها الى الساحل اذن . لديكم مئة وخمسون حزمة من الجلود على السفينة وخمس عشرة حزمة هنا ونحن نحتاج الى ثلاثة صناديق من النوع نفسه .

قال القبطان شيئاً لرجاله لم افهمه جيداً ولكن الاوامر التي اصدرها كانت واضحة ، فقد بدأ الصيادون بحمل

الجلود بسرعة الى الزوارق .

حبست (اولابة) انفاسها وهمست في اذني :

ـ اتعتقدين انهم سيعطوننا بقية الصناديق .

ـ انا لا اثق بهؤلاء .

ـ سيهربون حالما تكون كل البضاعة في السفينة .

ـ محتمل .

ـ كان على الصيادين الاغـراب المرور من جانب ابي للوصول الى الزورق وما ان وصل اولهم حتى اعترضه ابي قائلا وهو ينظر الى القبطان اورلوف :

ـ ستبقى بقية الجلود هنا حتى تجلبوا بقية الصناديق .

تجهّم وجه القبطان وأشار الى الغيوم التي كانت تقترب بسرعة نحو الجزيرة وقال :

ـ اردت حمل البضاعة قبل وصول العاصفة .

ـ اعـطني الصـناديق الثـلاثة اذن ، وسأساعدك على حملها بزوارقنا . صمت القبطان (اورلوف) وجال بنظره الى كل اطـراف الشاطىء ونظر الى رجالنا الواقفين على مبعدة منه او على الصخرة الى وهدة الشاطىء واخيرا نظر الى ابي وبعد ذلك تحدث مع رجاله .

في الحقيقـة لم اعـرف ما الذي حدث . أكان أبي هو

الذي هاجم الصياد أو ان هذا الاخير الذي كان يحمل ربطة من الجلود على ظهره قد دفع أبي بقوة جانبا. في حينها قفزت وصرخت (اولابه) ورن صراخها في كل وهدة الشاطىء وهي ترى جسد أبي ممدداً بين الصخور . وقد امتلأ وجهه بالدماء . لكنه قام ببطء وانتصب على رجليه مرة اخرى.

وعندها هرع رجالنا برماحهم المشهرة مهددين الاعداء في الوقت الذي ظهرت فيه غيمة صغيرة بيضاء في جانب الزورق ودوّى صوت قوي احدث صدى عاليا في وهدة الشاطىء سقط على اثرها خمسة من رجالنا من دون حراك(١).

عادت (اولابه) الى صراخها ورمت حجرة سقطت باتجاه الشاطىء بالقرب من القبطان (اورلوف) من دون ان تؤذيه وبدأت الحجارة تنهال على الشاطىء من مختلف الجهات واصابت عدداً من الصيادين ودخل رجالنا في اشتباك مع الصيادين واصبح من المستحيل التمييز بينهم . وبدأنا أنا واولابه بمراقبة المعركة بيأس من دون ان

---

(١) اشارة الى أن السفينة أطلقت مدافعها على سكان الجزيرة.

نرمي اي حجر آخر خشية جرح رجال قبيلتنا وتخلى الصيادون عن الجلود وشهروا سكاكينهم بوجه قبيلتنا وامتدت المعركة على طول الشاطىء وسقط بعض الرجال على الرمال وعادوا مرة اخرى الى معركتهم بقوة اكثر. في حين سقط آخرون من دون ان ينهضوا ابدا. وكان ابي من بينهم.

وفي غضون مدة قصيرة انتابنا شعور بأن المعركة ستنتهي لصالحنا، لكن القبطان (اورلوف) غادر باتجاه السفينة وعاد ومعه بقية الرجال.

تقهقر رجالنا الى الوراء من غير ان يتخلوا عن سيوفهم لكنهم كانوا مستعدين لشن جولة جديدة ضد المعتدين.

وفي تلك اللحظة بدأت العاصفة بالهبوب وعاد الاغراب بسرعة الى السفينة من دون أن يتبعهم رجالنا.

وما ان وصل الصيادون الى السفينة حتى نشروا قلاعهم وتحركت السفينة ببطء بين الصخور البارزة.

وقبل ان تختفي السفينة وفي اللحظة التي نزلت انا واولابة الى الاسفل لاحظنا دخانا ابيض في مقدمة السفينة ثم دوّى ازيز قوي من فوق رؤوسنا يشبه ذلك الازيز الذي يصدر من الطيور وهي تطير بسرعة فائقة.

هبت العاصفة واخذت حبات المطر تتساقط على وجوهنا بقوة وركضت النسوة باتجاهنا وغطى صياحهن صوت العاصفة .

كان أبي ممدداً على الرمال عندما بدأت امواج البحر بالوصول اليه . تأملت جسده المسجّى على الرمال وادركت انه ما كان عليه ان يفشي اسمه السري الى القبطان اورلوف .

كان الكل متفقاً على ان الخطأ الذي ارتكبه أبي اضعف من قوته وافقده حياته .

الفصل الخامس



كانت تلك الليلة من اكثر الليالي رعبا على اهالي قبيلة جالاس ات . فقبل تلك الليلة المشؤومة كان عدد الذكور في القرية بضمنهم الشيوخ القادرون على القتال هو اثنين

واربعين فقط. وبحلول الليل وبعد ان نقلت النسوة الرجال الذين قتلوا في معركة شاطىء المرجان الى القرية لم يبق سوى خمسة عشر رجلا من بينهم ستة شيوخ.

لن تبق امراة في القرية الا وبكت على فقدان احد ما من العائلة.

استمرت العاصفة يومين كاملين وفي اليوم الثالث دفنا موتانا في الرابية الموجودة في جنوب الجزيرة وحرقنا جثث الاعداء الذين قتلناهم في الساحل.

هدأت القرية في غضون عدة ايام وخرج الناس من اكواخهم للبحث عن الطعام وكانوا يعودون ليأكلوا ما جلبوه بصمت.

اقترح البعض من سكان الجزيرة انه حان الوقت لمغادرة الجزيرة الى جزيرة سانتا كاتالاينا التي تبعد كثيرا عنا من جهة الشرق لكن البعض الاخر اكدوا ندرة المياه هناك.

اخيرا، عقدنا اجتماعا وقررنا البقاء في جالاس ات ثم انتخبنا (كيمكي) رئيسا للقبيلة بدل أبي. كان كيمكي متقدما في السن لكنه كان صيادا ماهرا في شبابه وشخصا معروفا بطيبته. وفي الليلة التي انتخب فيها اجتمع بناوقال:

ـ ان اغلبية الـــذين كانـوا ينصبـون الفخـاخ لصيد الحيوانات او لصيد الاسماك قد قتلوا . فعلى النساء اللواتي كنـا لا نطالبهن سوى بالبقاء في البيت للخياطة والطبخ وتربية الاطفال، ان تحتل مكان الرجال وتجابه المخاطر الكثيرة الموجودة في الجزيرة.

اعرف ان هناك من سيعترض على هذا من بين أهالي جالاس ات وان قسماًمنهم سيتخـلى عن التزاماته لكننا سنعـاقب من يفعـل هذا. فمن دون تكـاتف الجميع ستموت القبيلة.

وزع (كيمكي) العمل لكل افراد القبيلة. وكان نصيبنا انـا واولابـة مهمـة جمـع المحار الكبير الذي يكثر عند صخـور الهـاديات البحـرية المنتشرة حول الجزيرة. كنا نخرج لجمعها في اوقات الجزر ونملأ سلالنا وننقلها الى السهـل وهنـاك نفتحها ونستخرج لحمها الاحمر القاني ونضعها على الصخور حتى تجف تحت اشعة الشمس.

امـا مهمة (رامو) فكانت مراقبة طيور النورس وابعاد الكـلاب عن اللحم الـذي كنا نجففه . وكان اكثر ما نخشى هو تلك الكلاب التي هجرها اصحابها او التي قتـل سيدها فأضطرت لمغادرة القرية وانضمت مع بقية

الكلاب الوحشية المنتشرة في الجزيرة.

وعند المغيب كنا نقوم انا واولابة بمساعدة (رامو) في جمع لحم المحار ووضعه في سلة كبيرة ونقلها الى القرية.

كرست بعض النسوة كل وقتهن لقطف نوع من انواع الثمار الوردية التي تنبت في اشجار الصبير، وقامت البقية الباقية من النساء بنصب الفخاخ وصيد الطيور والاسماك. والواقع ان النساء كن يعملن بهمة عالية الا انهن لم يبلغن مهارة الرجال في هذا العمل.

كان يفترض ان يعم الهدوء والسلام في القرية لكن الامر لم يكن كذلك. فقد اعترض بقية الرجال وقالوا ان قوانين القبيلة تحرم على النساء القيام بعمل الرجال وانهن ما ان يتحولن الى صيادات حتى يقل احترامهن للرجال. وحدث لغط كثير حول القضية وسادت النقاشات حول هذا الامر في تجمعات رجال القبيلة وعندها قرر (كيمكي) تقسيم العمل من جديد. اي ان يقوم الرجال بصيد ماهو ضروري لنا وتجمع النساء النباتات والجذور والحبوب.

ولحسن الحظ كنا قد جمعنا كمية كافية من الطعام للشتاء القادم لكن القلق والحزن الذي خيم على فصلي

الخريف والشتاء لم يكن سببه تلك المشكلة، فأرواح موتانا الذين سقطوا كانت تحوم حولنا اينما ذهبنا. بل حتى انها كانت تزورنا عندما كنا نجتمع حول النار.

عندما حل فصل الربيع دعا (كيمكي) الى اجتماع اعضاء القبيلة وقال لنا انه فكر طوال فصل الشتاء وقرر السفر الى الشرق الى منطقة كان يعرفها مذ كان صغيرا، لكنه قال انه سيقوم وحده بهذا العمل لكي يكشف المنطقة التي تلائمنا اذ انه لا يستطيع ان يأخذ معه اي رجل من الرجال القلائل الذين بقوا في القرية.

كان اليوم الذي غادر فيه (كيمكي) صافيا ورائعا. اجتمع كل افراد القبيلة على الساحل وودعناه. حمل معه وعائين مليئين بالماء الصافي وما يكفيه من السمك الجاف للرحلة.

وقف الجميع يراقب كيمكي بانتباه شديد وهو يجذف زورقه بين الصخور ثم دخل شيئاً فشيئا بين الشعب الصخرية حتى وصل الى عرض البحر ثم اختفى.

انقضى الشهر الاول منذ رحيل كيمكي وبدأنا نترقب عودته بقلق واخذ كل واحد منا يراقب البحر بلا كلل حتى في الايام العاصفة او التي تكتنفها الغيوم. وكنا نجتمع

كل ليلة حول النـــار ونســأل انفسنــا اذا كان (كيمكي) سيظهر في اليوم التالي.

لكن الـربيع حل وانقـضى ولم يعـد (كيمكي) وجاء الشتاء وانتهى قبل موعده وكان قليل العواصف والمطر. وكان علينا ان نأخذ الحيطة عند استهلاك المياه اذ جفت بعض الشلالات والعيون ولم يبق لدينا سوى نبع واحد.

دبَّ الـذعـر بين افـراد القبيلة ووصـل الامر الى ان البعض اخذ يعتقد اننا سنموت من العطش.

وقـال ماتا سايب الذي حل محل الزعيم (كيمكي) اثناء غيابه ان علينا ان نقلق لمسائل اهم.

تحدث ماتا سايب عن الاغراب وقال ان موسم صيد عجول البحر قد اقترب موعده، وان علينا مراقبة البحر خشية قدوم سفنهم ذات الاشرعـة الحمراء. ولهذا فقد رسمنا الخطط للدفاع عن الجزيرة؛ لكننا كنا نعاني من نقص في المقاتلين لمجابهة اعداء اشد منا.

واخيرا قرر سكان القبيلة الهرب عن مشاهدتنا سفن الاعداء.

وهكـذا عزمنا على ملء قواربنا التي كنا قد اخفيناها قرب الشـاطىء العـالية جدا والمطلة على البحـر بالمؤن

وصنعنا حبلا قويا من نبات الطحالب الجافة وانزلناه من الاعلى الى الاسفل ليسهل لنا عملية الهروب من ذلك الجانب الى حيث زوارقنا.

على الرغم من ان مدخل شاطىء المرجان كان لا يسمح بمرور القوارب الا بصعوبة وخاصة اثناء الليل الا اننا وضعنا مع ذلك حارسا هناك اضافة الى الحراس الاخرين لمراقبة ذلك الجزء وانذارنا اذا ما شاهد شيئا اثناء الليل.

وبعد مدة من الزمن وفي ليلة قمراء هرع احد الرجال الى القرية وهو يصرخ وايقظ صراخه كل سكان القرية:

ـ الاليونياتيون! الاليونياتيون!

حدث ما كنا قد توقعناه واستعد الجميع لمواجهة الموقف على الرغم من الخوف الذي داهم القرية.

طاف (ماتا سايب) من كوخ الى كوخ وطلب منا التصرف بهدوء واخذ ماهو ضروري فقط للهرب.

نفذنا الامر بصمت وهدوء واخذنا نخرج شيئا فشيئا من القرية واتبعنا الطريق المؤدي الى حيث اخفينا الزوارق.

اختفى القمر في تلك اللحظة وشاهدنا وميضا ضعيفاً في الجزء الشرقي من الجزيرة وعندها هبّت عاصفة قوية من

ذلك الجزء.

ما ان مشينا نصف فرسخ حتى التقينا بالرجل الذي حذرنا وتكلم مع (ماتا سايب) بينما تجمع البقية حولهما.

ـ ذهبت الى الشاطىء بعد ان حذرتكم وعندما وصلت الى هناك استطعنا رؤية الزورق بكل تفاصيله. كان موجودا في الجانب الاخر من الصخور التي تحمي مدخل الجزيرة. انه زورق اصغر من زوارق الاغراب واشرعته بيض.

ـ هل استطعت رؤية احد؟

ـ كلا.

ـ اليس هو الزورق الذي حضر في الربيع الماضي نفسه؟

ـ كلا.

صمت (ماتا سايب) وفكر في كل ما قاله الحارس. ثم اصدر اوامره لنا بالاستمرار نحو زوارقنا في حين رجع هو ليستطلع الامر.

طلع النهار وهرعنا نحو الوهدة الصخرية، وما ان وصلنا هناك حتى اخذنا نتأمل شروق الشمس.

مال الجو الى البرودة ولم نجرؤ على اشعال النار خشية

ان يراهـا اولئـك الـذين حضروا في الزورق. وفي تلك اللحظة اخذ (رامو) ينزل الوهدة الى الاسفل ولم يكن احد من سكـان القبيلة قد نزل قبـل ذلـك. وبينما كان رامو يتفحص الزوارق شاهدنا رجلا يركض بأتجاهنا، وكان (نانكو) وهو يحمل لنا رسالة من ماتا سايب . حضر وقد امتلأ عرقا على الرغم من شدة البرودة وحاول ان يستعيد انفاسه عندما وصل الى مكاننا.

قلنا له جميعا:

ـ تكلم!

ـ لقد . . . كنت . . اركض طوال فرسخ . . . و. . .

و. . لا استطيع . . التكلم.

ـ ولكنك تتكلم.

ـ تكلم ! تكلم! تكلم. صرخ الجمع به.

فرح نانكو بأستهزائه بنا. جفف عرقه عن صدره واخذ نفسا عميقا ونظر الى الجميع ودار برأسه كما لو انه لم يكن يعرف لماذا كنا ننظر اليه.

قال بعد برهة وببطء:

ـ القارب لم يكن من قوارب الاعداء، انه قارب الرجال البيض وكانوا قد وصلوا الى هذا المكان بأمر من

(كيمكي).

ـ هل عاد (كيمكي) معهم ؟ سأل احد كبار رجال القرية.

ـ كان هو الذي شاهدهم اولا وهو الذي طلب منهم المجيء الى هنا.

وسألت اولابة:

ـ وماهي ملامحهم؟

ـ ايوجد صبية في القارب ؟ سأل (رامو) الذي كان قد عاد وفمه مليء بالطحالب.

كان الجميع يتكلم وعم الاضطراب في المكان وحاول نانكو اضفاء ملامح جدية على وجهة لكن الامر كان صعبا معه ومبهما لان فمه كان قد جرح في اثناء المعركة السابقة ولهذا فانه كان يبدو مبتسما طوال الوقت. رفع يده اخيرا وطلب السكوت.

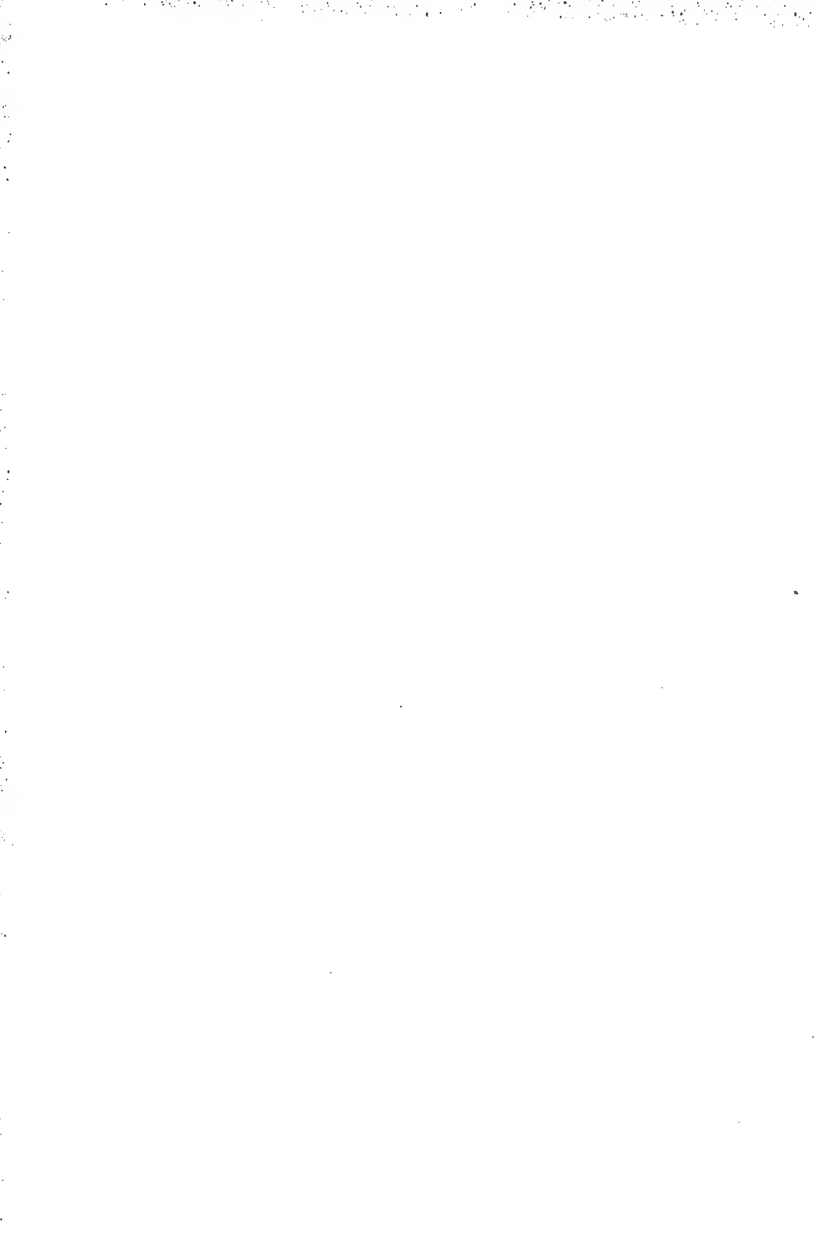
ـ لقد حضرت السفينة لسبب ما. لقد حضر البيض ليخرجونا من قرية جالاس ات.

ـ وأين سنذهب ؟ سألت.

كان سؤالا وجيهـا . اذ ان السفينـة لا تعود الى قوم الاغراب . الى اين اذن يريد ان يأخذنا الرجل الابيض؟

ـ لست ادري ولكن (كيمكي) يعرف هذا، وهو الذي طلب من البيض ان يأخذونا معهم.

ومن غير ان يزيد حرفا واحدا استدار ورجع في الطريق نفسه الذي جاء منه. تبعناه ونحن نشعر بالقلق ازاء ما كان ينتظرنا ومع ذلك كنا نشعر بنوع من السعادة.



الفصل السادس



لم نكن قد اخذنا اي شيء معنا عندما فكرنا بالهرب، لكن الاثـارة وعلامات الفرح كانتا باديتين على ملامحنا ونحن نتهيأ للخروج بسلام.

وكان نانكو يتعجلنا على الخروج . ويصرخ :

ـ العاصفة ستهب وسيرحل الزورق من غيرنا .

ملأت سلتين بالاشياء التي رغبت بها ! اخذت ثلاث ابر رفيعة مصنوعة من عظم الحيتان ومثقبا وسكينا مصنوعة من الحجر وقدرين من الطين وصندوقا مصنوعا من اصداف المحار وبعض القلائد والاقراط .

صرخ نانكو مرة اخرى .

ـ سيغادر الزورق!

كانت الرياح تهب بقوة وبشكل متقطع عندما كنا نغادر الجزيرة.وكنا نشاهد (رامو) يقفز هنا وهناك امام الجميع وهو يحمل احدى سلالنا.لكنه رجع بعد قليل وهو يصرخ بانه نسي احد سهامه .

كان (نانكو) واقفا عند الوهدة الصخرية يلوّح لنا ويستعجلنا.اما انا فأمسكت بيد (رامو) ومنعته من الرجوع الى القرية لجلب السهم .

كان الزورق راسيا بعيدا عن الشاطىء،وحذّرنا نانكو من ان الزورق لا يستطيع الاقتراب اكثر من هذا خشية الامواج العالية التي كانت تصطدم بالصخور وترتفع الى

الاعلى بقوة .

عند مدخل الشاطىء وقف زورقان وفي داخلهما جلس اربعة رجال بيض واشار لنا احد الرجال ان نسرع في سيرنا وتحدث معنا بلغة لم نفهمها كلنا .

كان جميع رجال القبيلة عدا (نـانكو) والرئيس ماتا سايب قد وصلوا الى الزورق وصعدوا على متنه . وكنت قد رأيت (رامو) يجري امامهم ويتقدم الجميع نحو الزورق بعد ان منعته من الرجوع الى القرية .

قسم نانكو النسوة الى مجموعتين ثم دفعوا الزورقين الى البحر. وصعدت انا واختي الى مقدمة الزورق. وما ان اصبحنا في عرض البحر حتى اخذت الرياح تعصف بالزورقين وكان بأمكاننا مشاهدة السفينة تارة عندما ترتفع الامـواج الى الاعـلى ثم تختفي مرة اخرى عندما كانت الامواج تهبط بنا. وبعد قليل وصلنا الى السفينة وصعدنا بصعوبة الى هناك .

كانت السفينة تشبه الى حدّ بعيد زوارقنا الا انها كانت اكبر وذات صاريتين كبيرتين. في وسط هاتين الصاريتين وقف رجل ذو عينين زرقاوين ولحية سوداء .

كان يأمـر الجميع فيطيعـونـه . وبعد ان اطلق عدة

صرخات شرع الجميع برفع الاشرعة ورفعت المرساة .

صرخت على (رامو) الذي افتقدته لكن الريح خنقت صوتي ولم اسمع اي رد منه . ومع ان السفينة كانت مليئة بالناس الا اني استطعت التحرك بينهم وانا اتوقع العثور على رامو. لكني لم اشاهده مع بقية أفراد القبيلة . صرخت على نانكو وقلت له وانا ارتجف خوفا :

- أين اخي؟

اجابتني اختي (اولابة) التي كانت تقف الى جانب نانكو واشارت الى الجزيرة . نظرت برعب الى حيث اشارت وشاهدت اخي يركض على الوهدة الصخرية وهو يلوح لنا بسهمه .

كانت الاشرعة قد رفعت والزورق قد بدأ بالسير. اخذ الجميع بمراقبة الجزيرة. هرعت الى احد الرجال البيض واشرت له الى حيث كان اخي لكنه لم يعرني اي اهتمام .

شرعت بالبكاء عندما شرعت السفينة بالتحرك بسرعة .

أمسك الرئيس ماتا سايب ذراعي وقال لي :

- لا نستطيع العودة من اجل (رامو) . ليس بالامكان الرجوع الان لو فعلنا ذلك لتحطم الزورق على الصخور.

وصرخت:

ـ لكننا يجب ان نفعل هذا ، علينا انقاذ (رامو).

قال ماتا سايب

ـ سيعود الزورق في يوم ما وسيعيش اخوك في الجزيرة فلديه طعام كثير وكذلك امكنة للنوم.

ـ كلا!! صرخت بقوة.

اكتسب وجه ماتا سايب قساوة الصخر وغادر المكان من دون ان يسمعني. وعدت للصراخ مرة اخرى لكن صوتي ضاع مع صوت الرياح العالية. تجمع الناس حولي وهم يرددون عبارات الاسى والتأسف لكن ذلك لم يكن يعزيني.

اختفى (رامو) وراء الحافة الصخرية وكنت اعرف انه سينزل الى الساحل.

طافت السفينة حول شريط الطحالب واعتقدت انها سترجع الى الجزيرة لكنها غيرت مسارها واتجهت نحو الشرق.

وفي تلك اللحظة صعدت الى مقدمة السفينة وقفزت الى البحر من دون أن تتمكن الايادي التي امتدت نحوي من منعي.

حملتني موجة عالية الى الاعلى ثم هبطت بي الى اعماق البحر واعتقدت اني لن اصل ابدا مرة اخرى الى السطح الا انني استطعت مقاومة تلك الامواج وعدت الى السطح وشاهدت السفينة وقد ابتعدت كثيرا عني.

لم يكن لدي وقت للتفكير بالسفينة وكان عليّ السباحة بسرعة وبقوة نحو الشاطىء خوفا من تلك الامواج التي كانت تركض خلفي. وكنت قد قفزت الى البحر وانا ممسكة بالسلة ولكنني اضطررت لتركها لشدة ثقلها.

كنت لا اكاد استطيع مشاهدة تلك الصخور التي تحمي مدخل الجزيرة ومع ذلك شعرت بقوة هائلة في داخلي للمضي نحو الشاطىء على الرغم من الخوف الذي سيطر عليّ. فقد كنت في ايام سابقة قد سبحت لمسافات اطول ولكن ليس في مثل هذا الجو العاصف.

فكرت وانا اسبح بالطريقة التي سأعاقب بها (رامو) حالما اصل الشاطىء. ولكنني ما ان احسست بالرمل يدخل بين اصابعي وما ان رايته ينتظرني على الساحل وهو ممسك بنبلته بأنكسار حتى نسيت كل مافكرت به وسقطت بجانبه وعانقته بقوة.

كانت السفينة قد اختفت في حينها. سألني رامو

بعينين مليئتين بالدموع :

- متى ستعود؟

أجبته :

- سريعا .

الشيء الوحيد الذي أحزنني بعد ان وصلت الى هناك هو تمزق ثوبي الوحيد الذي أمتلكه .



الفصل السابع



هبّت الـرياح بقوة ونحن نمشي في طريق عودتنا الى القرية. كانت الرياح قد غطت الهضبة بالرمال وحجبت اشعـة الشمس عنـا. ولمـا كنا لا نستطيع ايجاد طريقنا

الصحيح وسط تلك العاصفة قررنا الاحتماء بين الصخور حتى تنجلي العاصفة .

خفّت حدة العاصفة في الليل واستطعنا ايجاد طريقنا على ضوء القمر. بدت اكواخ القرية كالاشباح في ضوء القمر. وعندما وصلنا الى هناك سمعنا صوتا غريبا كان اشبه بصوت شخص يركض .

اعتقدت انه صوت الريح . لكنني ما ان اصبحت على مقربة من اكواخنا حتى استطعت ان اشاهد بوضوح كلاب القرية وهي تحوم حول الاكواخ بحثا عن الطعام . لكنها هربت ما ان شاهدتنا وهي تزمجر.

ويبدو ان قطيع الكلاب المتوحشة كان قد غزا القرية بعد رحيلنا بقليل واكل تقريبا كل المحار الذي كنا قد جمعناه في قواربنا . طافت الكلاب في كل الاكواخ واكلت كل شيء تقريبا . ولهذا بات علينا تفتيش الاكواخ بحثا عن الطعام .

استطعت اخيرا العثور على بقايا بعض الطعام التي تناولناها ونحن نسمع نباح الكلاب .

خرجت من الكوخ في صباح اليوم التالي ووجدت ان الكلاب قد هربت الى مخابئها في الكهوف القريبة منا .

امضينا طوال اليوم بحثا عن الطعام وكانت الرياح الشديدة تضرب كل المنطقة وترتطم الامواج بغضب على الصخور مما منعنا من الذهاب للبحث عن القواقع هناك. ومع ذلك استطعت جمع بعض بيض طيور النورس واستطاع (رامو) صيد بعض الاسماك بنبلته وعاد بها سعيدا الى الكوخ واعتقد انه محا جزءا من غلطته بالبقاء في الجزيرة عندما ذهب الجميع الى السفينة.

وبما توفر لدينا من الحبوب التي التقطناها من على الوهدة الصخرية استطعنا تحضير وجبة غذاء على الرغم من انني اضطررت الى طبخها على الصخور بعد ان فقدت القدور في البحر.

وعادت الكلاب المفترسة الى القرية في تلك الليلة بعد ان شمت رائحة السمك المشوي واخذت تعوي وتزمجر بغضب وكنت استطيع رؤية عيون البعض منها وهي تلتمع.

عند الصباح اختفت الكلاب مرة اخرى.

وبعد عدة ايام هدأ البحر واستطعنا ان نجمع كثيرا من المحار من بين الصخور وصنعت سلة من نبات الطحالب وملأتها بالقواقع وذهبت الى وهدة الشاطىء لمراقبة الافق.

كان الهواء عذبا والبحر هادئا الا انني لم اجد اي شيء في الافق.

سأل رامو:

ـ اتعود اليوم؟

قلت وانا اميل الى الاعتقاد الاخر:

ـ ربما.ولكنني اعتقد انها ستتأخر عدة ايام لان البلد الذي توجهت اليه يقع بعيدا جدا.

نظر (رامو) الى الامام والتمعت عيناه وقال:

ـ لا يهمني اذا لم تحضر ابدا.

ـ لماذا تقول هذا ؟ سألته.

فكر رامو لحظة وحرك نبلته في الارض. وعدت لسؤاله.

ـ قل لي لماذا؟

ـ لانه يعجبني العيش هنا معك. ان المسألة تبدو ممتعة بعد ان غادر الجميع. سأذهب غدا الى مكان الزوارق وسأجلب واحدا منها الى شاطىء المرجان. سنستعمله لصيد السمك والطواف حول الجزيرة.

ـ انها اثقل من ان تستطيع ان تدفعها وحدك الى الماء.

ـ انتظري وسترين.

نفـخ رامـو صدره وبانت سلسلة مصنوعة من انياب الفيل معلقة على صدره. ويبدو انه وجدها في احد الاكواخ.

كانت كبيرة جدا عليه ولم تكن تلك الانياب مصقولة وكاملة الا انها كانت تحدث اصواتا عند احتكاكها بعضا ببعض. ضرب رامو نبلته في الارض وقال:

- انسيتِ اني ابن الزعيم جويغ

اجبته:

- كلا، كلا، لن انسى ذلـك. ولكنـك مازلت فتى صغيرا ستكبر في يوم ما وتصبح قويا وعندها تستطيع قيادة واحد من هذه الزوارق.

- انا ابن جويغ، انا ابن الزعيم وسأصبح زعيما بدلا عنه.

أنا الآن زعيم جالاس ات وستنفذ كل رغباتي.

- ولكن عليك ان تصبح رجلا وانت تعرف ان اعراف القبيلة وعاداتها تنص على جلدك بسوط مليىء بالاشواك وتقيدك الى خلية نمل احمر للتأكد من قوة احتمالك.

شحب وجـه (رامـو) فهـو قد شاهـد طقوس القرية ويتذكرها جيداً. الا اني قلت له بسرعة:

ـ مادام لا يوجد رجال يقومون بالطقوس فلست مجبرا على الخضوع لامتحان السوط وخلية النمل يازعيم رامو.

ـ ابتسم رامو.

ـ لست ادري اذا كان اسمي الان سيناسبني ام لا. سأفكر بأسم آخر.

قال هذا واطلق نبلته على طائر نورس مرّ من جانبنا.

كنت أتامله عندما هبّ بسرعة من مكانه وجرى وراء نبلته التي سقطت من غير ان تصيب هدفها، وفكرت كم سيكون الامر صعبا عليّ مع فتى صغير مثله. ومع ذلك فقد عانقته عندما رجع من دون ان يصيب طائر النورس.

قال رامو

ـ لقد فكرت باسم لي.

ـ لنر ماهو؟

ـ انا الرئيس تاينو سيتلوباي.

ـ انه اسم طويل جدا وصعب التلفظ.

ـ سرعان ما ستحفظينه.

ولم يكن في نيتي ان ادع الزعيم تاينو سيتلوباي يذهب وحده الى حيث الزوارق. ولكنني عندما استيقظت في صباح اليوم التالي وجدت ان رامو كان قد اختفى من

الكوخ. وعرفت انه غادر الكوخ اثناء الليل بحثا عن هدفه.

ارتعبت وفكـرت بالمخـاطـر الكثـيرة التي يمكن ان يتعرض لها. ومع انه كان قد نزل من قبل من اعلى الوهدة الصخرية الا انه سيواجه مشاكل اكبر في محاولته سحب الزورق الى البحر.

وحتى لو افترضت في كل الاحوال انه استطاع القيام بذلك، فهل سيكون قادرا على تجذيف الزورق في ذلك الخليج بأمواجه القوية العالية؟

أسرعت من غير ان اتردد الى هناك كي امنعه من القيام بما كان عازمـا عليه. ولم اكـد امشي بضـع خطوات في طريقي الى هناك حتى سألت نفسي اذا كان من الافضل تركه ينزل الى الساحل من اعلى الوهدة.

ولما كنا لا نعرف متى ستعود السفينة وكنا نحن السكان الوحيدين في تلك الجزيرة فقد اثرت ان يعتمد رامو على نفسه ويصبح رجلا قبل اوانه فقد كنت واثقة من اني كنت سأعتمد عليه في كثير من المسائل في اثناء الوقت الطويل الذي علينا ان نقضيه بأنتظار السفينة.

وهكـذا درت نصف دورة حول نفسي ورجعت الى

شاطىء المرجـان. وقلت لنفسي اذا استطاع (رامو) ان ينزل الى الزورق وسحبه الى البحر ثم السيطرة عليه من مخاطر تلك المنطقة فانه سيصل حتما الى الشاطىء عندما تكون الشمس عالية في السماء.

سأنتـظره عنـد الساحل. اذ أين ستكون متعة تلك الرحلة اذا لم تجد احدا يرحب بك عند قدومك؟

ارتفعت الشمس في كبد السماء ولم يعد رامو. وبدأت اقلق. صعدت الى اعلى الصخرة ونظرت الى الخليج والى الساحل الممتد المغطى بالرمال. وكان بأستطاعتي رؤية الامواج وهي تلعق الرمال ووراءها زبد البحر.

انتظرت برهة من الزمن ثم عدت الى القرية وانا آمل العثور عليه في القرية. لكني وجدت الكوخ خاليا.

اسرعت مرة اخرى الى الشاطىء وكان هناك طريقان يؤديان الى تلك المنطقة تفصلهما الكثبان الرملية. دخلت في واحد منهما واخذت اصرخ عله يسمعني اذا كان قد سلك الطريق الثاني. لكني لم اسمع اي رد منه بل اني كنت اسمع نباح الكلاب المتوحشة في البعد.

ومـا ان وصلت الى هنـاك حتى شاهـدت الكـلاب المتوحشة وهي تدور في حلقة كبيرة.

ولشد دهشتي شاهدت (رامو) ممّداً وسط تلك الحلقة.

وما ان شاهدتني الكلاب المتوحشة وانا اركض نحوها حتى ولّت هاربة.

عندما حركت رامو لم انتبه الى انه كان ميتا. كان مثخنا بالجروح وعرفت من اثار قدميه انه لم يستطع النزول الطرف الاخر.

كانت الكلاب على مبعدة قصيرة من جسد اخي عندما شاهدت سهم رامو منغرسا في ضلوع احدها.

حملت رامو الى القرية وتبعتني الكلاب الى هناك. وقبل ان ادفنه خرجت بسرعة باتجاه الكلاب وانا احمل هراوة كبيرة لكن الكلاب هربت نحو التلال وشاهدت ان اخر من غادر كان كلبا كبيرا اشعث الشعر ويبدو انه كان قائدهم.

خيّم الظلام بسرعة ومع ذلك تبعت الكلاب حتى وصلت الى كهفها ثم شاهدتها تدخل الواحد بعد الاخر. الى الكهف. كان باب الكهف كبيرا نوعا ما لسده بالحجارة. لكني جمعت الاعشاب والطحالب الجافة

واشعلتها وانا افكر بالدخول الى الكهف واعتقدت اني سأستمر بهذا العمل طوال الليل.

لكني سرعان ما انتبهت الى ان النيران اخذت تضعف ثم انطفأت بعد قليل.

غادرت المكان عندما طلع القمر واتجهت نحو الكوخ بقيت ساهرة طوال الليل اراقب جسد اخي وأقسمت بأني سأرجع يوما الى الكهف كي اقتل الكلاب المتوحشة. اقتلها جميعا دون استثناء. واخذت افكر بالطريقة التي كنت سأنفذ فيها وعدي انتقاما لمقتل اخي رامو.

الفصل الثامن



لا اتذكر جيدا تلك الايام ولكني اتذكر اني فكرت بمصيري بعد ان بقيت وحيدة في تلك الجزيرة. لم اخرج من القرية في تلك الايام حتى عندما نفدت مؤونتي من

المحار. ولكني قررت بعد ذلك الخروج من القرية وعدم العودة اليها.

كان ذلـك اليوم كثيف الغيوم اضطربت فيه الامواج واخـذت ترتـطم بقـوة على الصخـور ووصل صوتها الى اسماعي وعرفت في تلك اللحظة كم كانت القرية هادئة ولم اكن قد فكرت بهذا من قبل.

كانت الغيوم الكثيفة تدخل الاكواخ الفارغة وتخرج منهـا وتتشكـل احيانـا اشكـالا رائعـة وصـورا ذكـرتني بالاشخاص الميتين او بأولئك الرجال البيض الذين كانوا على متن الزورق. وكان صوت هدير الامواج يشبه الى حد بعيد الاصوات البشرية.

بقيت جالسة مدة طويلة اراقب تلك الاشكال واستمع الى الاصوات الى ان ازدادت حرارة الشمس وبددت الغيوم.

وعنـدهـا اضرمت النـار في احد الاكواخ ثم احرقت القرية بكاملها.

لم يبق اي شيء ملكي عدا تلك السلة التي صنعتها في اليوم الاول من رجـوعي لحفظ بقـايا الـطعام ولهذا فقد جريت بسرعة قبل هبوط الليل وتوجهت الى المكان الذي

قررت ان اتخذه مكانا لي حتى وصول سفينة الرجال البيض.

يقع مكاني الجديد على ربوة تقع على مبعدة نصف فرسخ من شاطىء المرجان كان فيها صخرة ضخمة وشجرتان استوائيتان معوجتان وصغيرتان.وفي الجانب الاخر من الصخرة كانت هناك فسحة صغيرة منبسطة طولها عشر خطوات محمية من الريح وتشرف على الجزيرة والمحيط.وقرب هذه الصخرة كان هناك نبع ماء صاف.

تسلقت اعلى الصخرة في الليلة الاولى لكي انام . كان المكان واسعا يسمح في ان امدد رجليّ والنوم من دون خوف من هجوم الكلاب المتوحشة بسبب ارتفاع الصخرة والواقع اني لم اشاهد تلك الكلاب منذ ان قتلت اخي (رامو) لكني كنت واثقة من انها ستنروورني سريعا.

كانت تلك الصخرة مكانا جيدا لخزن الطعام الذي جمعته، ومكانا مناسبا لجمع كل الاشياء المفيدة لي. ولما كان الوقت ضيقا وكنت اتوقع وصول الزورق في اية لحظة فقد احتفظت بما يكفيني من الطعام فقط. وهكذا اخذت اكرس وقتي الطويل لصنع الاسلحة للدفاع عن نفسي من هجمات الكلاب المتوحشة التي كنت اتوقع ان تهاجمني

في اية لحظة.

كنت قد احتفظت بهرواة كبيرة وجدتها في احد الاكواخ. مع ذلك فقد كنت محتاجة الى قوس ونبال اذ لم تكن نبلة رامو التي انتزعتها من جسم الكلب تفي بالغرض. لكنني كنت في حيرة من امري فقوانين جالاس آت كانت تمنع النساء من صنع الاسلحة ولهذا فقد طفت اولا في ارجاء ماتبقى من القرية وبحثت بين الرماد املا في ايجاد راس سهم او حربة ما ولما لم اجد شيئا ذهبت الى حيث اخفينا القوارب وانا اتصور اني ساجد بعض الاسلحة هناك فضلا عن مخزون الطعام لكنني لم اجد شيئا.

تذكرت الصندوق الذي تركة الاغراب عند الساحل. هرعت الى هناك واخذت ابحث عن الصندوق الذي كنت قد شاهدته آخر مرّة عند بدء المعركة ولكنني لا اتذكر انهم حملوه معهم.

كان الساحل فارغا الا من الطحالب التي كانت العواصف تقذفها على الرمال. بدأت بالبحث عن الصندوق مستغلة حالة الجزر في البحر.

اتذكر اني كنت واولابا مختبئتين في مكان يقع امام

الصندوق عندما حدثت المعركة .

كانت الرمال ناعمة في ذلك الوقت، غرست عصاي في الـرمـال وانـا افترض ان العواصف كانت قد غطت الصندوق الذي ابحث عنه .

ارتطمت عصاي في منتصف الدائرة التي كنت أبحث فيها بشيء صلب اعتقدت ان ذلك الشيء كان صخرة ما ولكني عندما مددت يدي لتوسيع تلك الحفرة. للتأكد من ذلك الشيء عثرت على غطاء الصندوق .

امضيت كل الصباح في استخراج الصندوق وكان على عمـق لا بأس به ولهـــذا فضـلت عدم استخـــراج كل الصندوق والاكتفاء بفتح غطائه فقط .

عنـدمـا وصلت الشمس الى كبـد السـماء اخـذ المد بالتصاعد شيئا فشيئا حتى وصل الى الحفرة التي كنت قد حفرتها. بقيت هناك اقاوم الامواج التي امتدت نحوي وانا احاول تثبيت علامة ما لتحديد مكان الصندوق بعد زوال المد .

ما ان نزل المد حتى رجعت بنبش الرمال بقدمي اولا ثم بكلتا يدي . كان الصندوق مليئا بالقلادات الزجاجية والاشرطـة والاقـراط الملونة ، انستني كل تلك الاشياء

الاسلحة التي كنت اتوقع وجودها . رفعت القلائد والاقراط وعرضتها لاشعة الشمس ولبست اجمل واطول قلادة وجدتها هناك ووضعت زوجين من الاساور في يدي ثم اخذت امشي على الساحل وانا معجبة بنفسي . وكانت القلادة تصدر اصواتا جميلة وشعرت باني اصبحت خطيبة لزعيم القبيلة .

وصلت الى بداية الطريق الذي وقعت فيه المعركة وتذكرت فجأة اولئك الذين سقطوا في ذلك المكان وتذكرت كذلك اصحاب الصندوق وعندها هرعت نحو الصندوق وبقيت اتامل الاساور والقلائد الجميلة التي كانت تلمع تحت اشعة الشمس .

وقلت مع نفسي :

- انها لا تعود للاغراب انها ملكي الآن .

ومع اني كنت اردد ذلك مع نفسي فقد كنت اعرف في داخلي اني لن استطيع التزين بتلك الاشياء .

نزعت الحلي واخذت ما كان في داخل الصندوق ونزلت الى البحر ورميتها كلها الى الاعماق .

لم تكن هناك اية حراب في الصندوق وخاب املي في العثور على رمح لي فاغلقت الصندوق وغطيته بالرمال .

نظرت مرة اخرى الى ساحة المعركة علّي اجد شيئا هناك ولما لم أعثر على اي شيء تخليت عن بحثي.

لم يخطر على بالي في اثناء الايام التالية البحث عن الاسلحة لكن الكلاب المتوحشة حضرت في احدى الليالي وجلست في اسفل الصخرة التي كنت انام فوقها وبقت تعوي وتزمجر طوال الليل. وما ان حل الصباح حتى غادرت من دون ان تبتعد كثيرا فقد كنت استطيع مشاهدتها بين الكثبان وهي تراقبني ولهذا لم انزل من الصخرة. كنت قد دفنت عند نهاية الصخرة طعامي لكن الكلاب نبشت المكان واكلته وهي تزمجر وتتصارع فيما بينها لتأكل بقايا الطعام وعندما انتهت من طعامها حاولت الصعود الى الاعلى واخذت تقفز في الهواء في محاولة للوصول الي الا إن محاولاتها باءت بالفشل.

بقيت مدة طويلة ممدة على سطح الصخرة في الوقت الذي كانت الكلاب تحاول الوصول الي. كنت على ارتفاع لا تستطيع الكلاب الوصول الي. ومع ذلك فقد كنت قلقة جدا.

فكرت بعواقب عدم اطاعتي قانون القبيلة الذي منع النساء من صنع الاسلحة وتجاهل التقاليد وصنع ماهو

ضروري للدفاع عن نفسي في تلك الجزيزة الموحشة ، ترى هل تهب الرياح من كل الجهات الاربع وتقتلني بينما اصنع تلك الاسلحة؟ او لربما ستميد الارض بي - كما اكد الجميع - وتدفنني تحت الصخور ؟ او لربما سترتفع موجة عالية وتغمر كل الجزيرة؟ او قد تنكسر الاسلحة في اللحظة التي تكون حياتي مهددة بخطر ما حسب ماقاله ابي؟

فكرت بكل تلك المخاطر في غضون يومين كاملين وفي اليوم الثالث وعندما عادت الكلاب في محاولتها لتسلق الصخرة قررت وعلى الرغم من كل الأشياء صنع الاسلحة الضرورية للدفاع عن نفسي امام هذه المخاطر لكن الرعب تملكني وانا اقوم بعملي.

تمنيت ان يكون لدي ناب فيل بحر لاستعمله نصلا لحربتي فهذه الانياب كانت قوية ومحدبة تفي بالغرض . كان هناك الكثير من هذه الحيوانات قرب المخيم لكنني لم اكن امتلك السلاح لقتلها . وكان رجال القبيلة يصطادونها فيما مضى بشبكة قوية مصنوعة من حبال نبات الطحالب ويلقونها على الفيل البحري حين يكون نائما . وكانت تلك العملية تحتاج الى ثلاثة رجال اشداء ومع

ذلك كان الفيل البحري يهرب منهم في بعض الاحيان بعد ان يقطع الشبكة.

صنعت لنفسي نصلا حادا من الحجر وثبته الى رأس عصا طويلة. لكن صنع القوس والنبلة اخذا مني وقتا طويلا ومصاعب كثيرة. كانت المشكلة تكمن في ايجاد القوس. فمن اين لي بقوس منحت له بعض المرونة والقوة المطلوبتين.

اقتضى الامر بي الطواف حول الجزيزة بحثا عن خشبة مناسبة للغرض وكنت اعرف ان الاشجار الموجودة في الجزيرة كانت صغيرة الحجم ضعيفة وقليلة العدد. ولهذا استغرق الامر مني عدة ايام للعثور على خشبة مناسبة.

لم تكن مهمة جمع المواد المطلوبة لعمل الاسلحة هو الشيء الصعب فقط بل كان عليّ ان اتذكر كيف كان رجال القرية يصنعون هذه الأسلحة. تذكرت ابي وهو جالس في ليلة من ليالي الصيف في كوخنا وهو يقطع ويحضر الخشبة كي يصنع النبال ثم يستخدم الاحجار الصغيرة ويدببها لتكون رؤوسا للنبال وبعد ذلك يضع ريش الطيور في نهاية النبلة حتى لاينحرف السهم عن طريقه. لقد شاهدته اكثر من مرّة لكنني لم اكن قد راقبته

بدقة شخص سيحتاج الى صنع هذه الاسلحة يوما ما. ولهذا السبب فقد عانيت كثيرا وفشلت مرات عديدة وامضيت اياما طويلة من اجل صنع قوس واحد وعدة نبال.

بعد ان انتهيت من عملي الشاق الذي اخذ مني وقتا طويلا اخذت بحمل القوس والنبال على ظهري في كل تجوالي في انحاء الجزيرة سواء ذهبت لجمع المحار او للعثور على ماء صاف وغالبا ما كنت اتدرب على استعمالها حد الاعياء . والغريب ان الكلاب لم تعد الى مكاني عندما كنت اصنع الاسلحة لكني كنت اسمع نباحها في كل ليلة.

وفي يوم من الايام وبعد ان حملت اسلحتي شاهدت قائد تلك الكلاب وهو يراقبني بصمت من اعلى الوهدة الصخرية وكنت في طريقي لجلب الماء عندما شاهدته واقفا قرب النبع ينظر الي . كان ساكنا تماما وبعيدا عن مرمى سهامي.

كانت الليالي التي قضيتها في اعلى الصخرة مرهقة بسبب كثرة تعرجات السطح ولهذا فكرت بعمل مكان مريح لي من الطحالب الجافة الموجودة في الساحل.

وبعد ان اصبح لدي مكان جميل ولطيف اخذت اقضي معظم وقتي في الليل بمراقبة النجوم المتلألئة في السماء واعد تلك التي اعرفها واطلق الاسماء على النجوم التي لا اعرفها.

وفي الصباح كانت طيور النورس تغادر اعشاشها وتدور في طيرانها من فوق رأسي وتنزل بين وهدة الشاطىء والساحل. اما طيور البجع فكانت تصيد السمك في الطرف الاخر من شريط الطحالب وكنت اشاهدها تطير عاليا ثم تسقط نفسها الى الماء وتخرج بصيدها فرحة.

ومن هذا المكان العالي كنت استطيع مشاهدة عجول البحر التي رجعت الى مكانها بعد ذهاب الاغراب. ومع كل تلك المشاهد لم اتوقف عن التفكير بسفينة الرجال البيض وكانت اول نظرة القيها يوميا هي نحو البحر. كنت ابحث يوميا عن تلك السفينة واحلم فيها ليل نهار.

عندما كانت قرية جالاس ات مليئة بالسكان كنت انهض مبكرة واقوم باي عمل كان بجد. اما الآن فلم اكن اغادر الصخرة حتى عندما كانت اشعة الشمس تصل الى كبد السماء. اذ لم يكن لدي اي شيء افعله في ذلك الوقت المبكر.

كنت غالبـا ما آكل طعامي على الصخرة وانزل بعد ذلك الى النبع واغتسل في المياه الدافئة واعود بعد ذلك قبل حلول المساء لتسلق الصخرة ومراقبة البحر حتى يسود الظلام .

مرّ فصل الصيف وفصل الربيع لكن الزورق لم يأت .

الفصل التاسع



يعدُّ فصل الصيف من افضل الفصول في جزيرة الدلافين الزرق فلم تكن الرياح تهب بقوة من كل الجهات. وكنت امضي معظم وقتي على الصخرة اراقب

البحـر واتوقع وصول الزورق وانا انظر نحو الشرق الى حيث البلد الذي رحل اليه سكان جزيرتي.

وفي احـد الأيام وبينـما كنت اراقب البحر استطعت تمييز شيء صغـير يطفـو على سطح البحر . في البداية اعتقدته زورقا لكني شاهدت بعد ذلك نافورة من المياه تخرج الى الاعلى وعندها ادركت ان ذلك الشيء لم يكن صوتا قد خرج لتوّه الى السطحٍ وفي تلك الايام الصيفية التي تلتها لم اشاهد شيئا مماثلاً.

انهت العاصفة الاولى التي هبّت على الجزيرة ايذانا بحلول الشتـاء على كل آمـالي. فاذا كان الزورق يروم العودة للبحث عني فانه حتما سينتظر ظروفا جوية مناسبة للسفـر الى الجـزيرة وعـلي في هذه الحـالة الانتظار حتى الصيف القادم او لربما الانتظار لمدة أطول.

اخذ ذلك الانتظار الممل يملأ قلبي حزنا ولم اكن اشعر بالوحدة قبل هذه المدة لانني كنت واثقة ان الزورق سيعود كما قال ماتا سايب. لكن آمالي تلاشت الآن واصبحت اشعر بالوحدة وامضيت عدة ايام من دون ان تكون لدي حتى شهية للأكـل وكنت احلم طول الـوقت احـلامـا مزعجة اثناء الليل.

اخـذت العـواصف تهب من جهـة الشمال وارتفعت الامـواج الى اقصى حد لها وكانت من القوة بحيث انها اجبرتني على مغادرة مكاني والنزول الى اسفل الصخرة. وكنت في غضون الايام الخمسة التي قضيتها هناك اشعل النيران في الليل خوفا من الكلاب المفترسة. وفي احد تلك الايام حضرت الكـلاب واخـذت تراقبني من دون ان تجرؤ على اختراق خط النار. استطعت قتل ثلاثة كلاب بسهامي لكنني لم استطع قتل قائدها.

وفي اليوم السادس وبعد ان هدأت الريح ذهبت الى حيث اخفى رجالنا الزوارق وكان ذلك الجزء من الساحل محميا من الريح ووجدت ان زوارقنا كانت كما هي لكن الماء الذي خزناه كان عفنا اما الطعام فكان بحالة جيدة.

كنت قد قررت في الايام الاخيرة من العاصفة وبعد ان يئست من رجـوع الـزورق استعـمال احد هذه الزوارق والرحيل عن الجزيرة الى حيث ذهب السكان. وتذكرت كيف ان كيمكي وقبـل ان يرحـل طلب النصيحـة من الاجداد القدامى واستشار الساحر (زوما) الذي كان لدية قوة على الـريح والبحر لكنني لا استطيع ان افعل هذا الامر الآن، لأن (زوما) مات في المعركة ولم اكن في يوم من

الايام بقادرة على الاتصال مع ارواح رجال قبيلتنا.

ومع كل هذا لم اكن خائفة من السفر وحدي فقد كنت اعرف ان أجدادي عبروا البحر بزوارقهم وجاءوا الى هذه الجزيرة وكان كيمكي قادرا على عبوره ايضا. اما انا فقد كنت بارعة في استخدام هذه الزوارق.

وعلى كل فالسفر في الزورق يبدو اقل رعبا من وجودي وحيدة في تلك الجزيرة واضطراري الى اضرام النيران لحماية نفسي من هجمات الكلاب التي كانت تطاردني، ومن تلك الاماكن التي كانت تذكرني بالموتى.

اخترت اصغر زورق من بين الزوارق الاربعة ومع ذلك وجدته ثقيلا لانه كان يتسع لستة اشخاص. وكان علي ان اسحبه عبر الساحل المليء بالصخور. في البداية لم انجح في ذلك الا بعد ان اضطررت لتنظيف المكان من الصخور وفرش نبات الطحالب على الطريق وسد كل الحفر الموجودة هناك. بدا الامر سهلا لان الطريق كان ينحدر الى الاسفل.

كانت الشمس في الجهة الغربية عندما غادرت الساحل وكان البحر هادئا عند خط الصخور الكبيرة. جذفت زورقي ودرت نحو جنوب الجزيرة ووصلت الى

المنطقة المفتوحة الى عرض البحر.

عندما اخذت الرياح تهب من تلك الجهة كنت قد جلست في الجهة الخلفية من الزورق لاحصل على سرعة اكبر؛ لكنني انتقلت الى الوسط واخذت اجذف بكل قوتي من دون كلل حتى استطيع عبور التيارات العالية التي كانت تأتي سريعة من تلك الجهة.

القيت نظرة اخيرة على الجزيرة وشاهدتها تختفي قبل حلول الظلام. شعرت في تلك اللحظة بالرعب يسري في جسدي وانا اشاهد التلال العالية من الامواج البحرية.

عندما ساد الظلام لم يكن باستطاعتي تمييز أيّ شيء عدا صوت تلاطم الامواج ببعضها وارتطامها بالزورق. والغريب اني كنت اشعر بهذه الاصوات وكأنها صادرة من بشر.

لم اشعر بالجوع فقد سيطر الخوف على كل أحاسيسي لكن ظهور اول نجمة طمأنني قليلا. كانت تبدو مثل الافعى وكنت احبها كثيرا اذ لولاها لكنت ضعت في البحر وعلى الرغم من انها كانت تختفي بين الغيوم الا اني كنت استطيع ان استرشد بها على طريقي وسط ذلك الظلام الدامس.

وفجأة انتبهت الى وجود بعض الماء في الزورق وكنت قد أفرغت من قبل هذه المياه، لكنني اكتشفت الآن ان هذه المياه الجديدة لم تدخل بسبب الامواج العالية . تركت التجذيف وبدأت بتجفيف الزورق واخذت اتحسس وسط العتمة جوانب وبطن الزورق الى ان اكتشفت المكان الذي تتسرب منه المياه. لم يكن هذا الثقب في الجهة السفلى بلْ كان في الجانب الاعلى من الزورق ولهذا فان المياه لم تكن تدخل الزورق إلا عندما كان الزورق يميل الى جانبه . ولما لم يكن لدي اي شيء اسد به الثقب فقد مزقت ثوبي وحشرته فيه .

بزغ الفجر وكانت السماء صافية ورأيت عندما اشرقت الشمس اني كنت قد انحرفت نحو اليسار في اثناء الليل . عملت بجد لتصحيح هذا الخطأ وجذفت بكل همة لتعديل مساري وساعدتني الريح الهادئة والامواج الخفيفة في زيادة سرعتي .

كنت متعبة جدا لكن الأمل كان كبيرا في الوصول الى المكان الذي ارومة .

وفي اليوم التالي لاحظت ان المياه اخذت تدخل مرّة اخرى الى داخل الزورق لكن الثقب كان اكبر هذه المرّة،

وحشرت قطعة اخرى من ثوبي واستطعت ايقاف تدفق المياه الى الداخل.

كنت اخشى هبوب الرياح الموسمية التي ستعصف بالزورق وتحطمه. وانتبهت فجأة الى ان السير الى الامام سيكون خطرا، فمازال امامي يومان كاملان للوصول الى تلك الارض المجهولة وهكذا فكرت بالعودة الى الجزيرة. الا انني اصررت على الاستمرار في تنفيذ مشروعي فقد كانت فكرة العودة الى الوراء مسألة لا تحتمل فالعيش هناك وحيدة على أمل انتظار الزورق كان مرعبا.

الا ان عودة المياه للدخول الى الزورق وذهاب كل محاولاتي لايقاف تدفقالمياه الى الداخل جعلني اجذف هذه المرة بكل قوة الى الوراء املا بالوصول الى الجزيرة التي خرجت منها ، جزيرتي.

كنت اعرف ان وصولي الى هناك سيحتاج الى ضربة حظ. اذ ازدادت الرياح وارتفعت الامواج وازداد دخول المياه الى الزورق. وكانت اول اشارة لحسن الحظ قد جاءت بعد مشاهدتي مجموعة من الدلافين الزرق وهي تقفز هنا وهناك وما ان شاهدت الزورق حتى تجمعت امامه ثم شكلت حلقة كبيرة واخذت تسبح الى جانبه

وامامه كانت تسبح بهدوء جعلني اشاهد عيونها اللامعة وبعـد ذلـك اخذت تسبح بهدوء وابتعدت عن الزورق واستـطعت في غضـون مدة من الـزمن ملاحـظة بريق جلودها اللامعة تحت الخيوط الاخيرة من اشعة الشمس بل اني كنت اراها في خيالي حتى بعد ان اختفت الشمس واختفت هي عن انظاري .

ادخلت تلك الدلافين السعادة الى قلبي حتى اني لم الاحظ الدماء التي كانت قد نزفت من يدي من كثرة التجذيف .

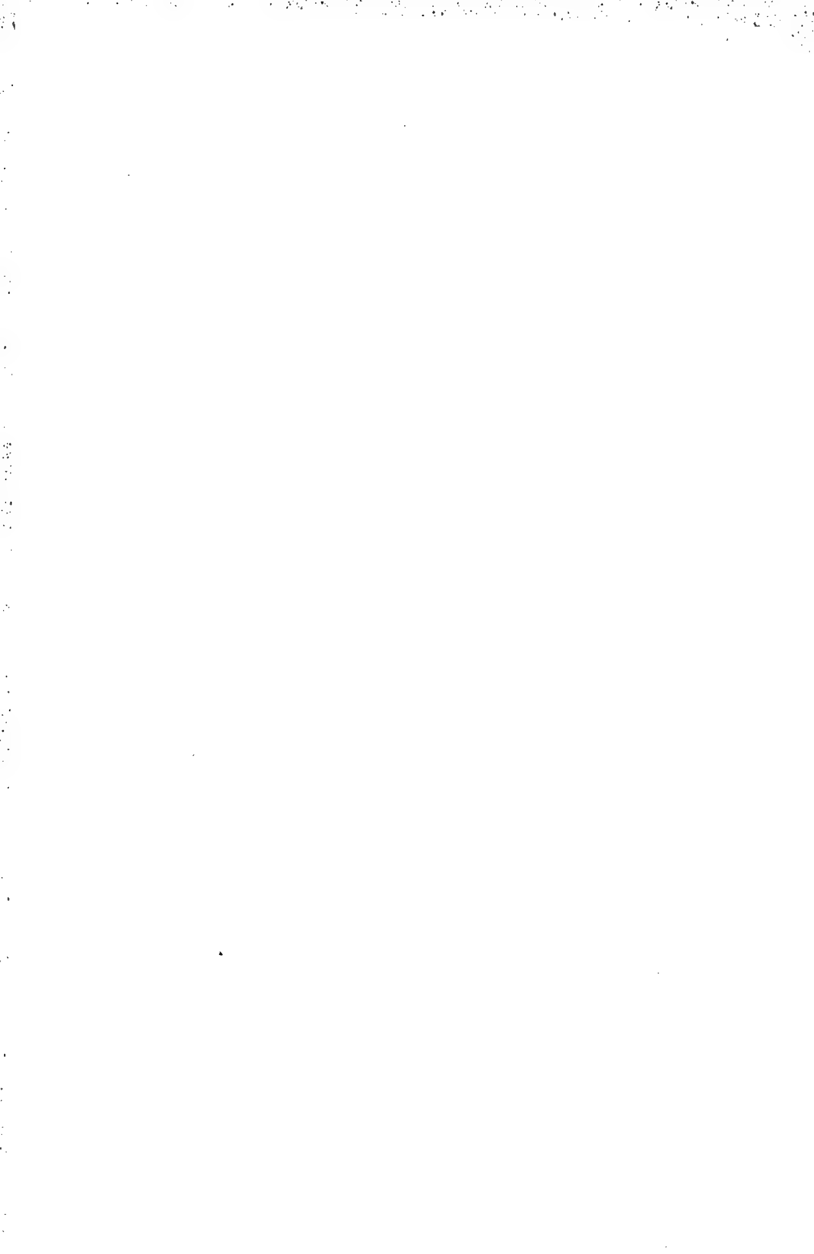
على الرغم من انني استطعت النوم قليلا في الزورق الا ان تلك الليلة كانت طويلة جدا وكنت اشعر برعب شديد لم احسن به من قبل .

عنـدما بزغ الفجر استطعت رؤية شريط طويل كان شيئا مشوشا يشبه الى حدما سمكة تسبح تحت الشمس . كان ذلك الشيء هو جزيرتي .

وصلت الى الجزيرة قبل صعود الشمس الى كبد السماء واخذت الامواج تدفعني الى الساحل بقوة . كانت قدماي متعبتين من كثرة ما طويتهما وما ان حاولت النهوض حتى سقطت من الزورق واستطعت السباحة الى الشاطىء ثم

استلقيت على الرمال وانا اشعر بسعادة كبيرة .

كنت متعبـة جدا الى الحـد الـذي لم افكر بالكلاب المتوحشة وسرعان ما غططت في نوم عميق .



الفصل العاشر



استيقـظت على صوت امـواج البحـر التي اخـذت تدغدغ قدمي . كان الوقت ليلا لكني كنت منهكة ولم أشأ ترك مكـاني إلا ان تفكـيري اتجه الى ايجاد مكان اخر

لاتصله التيارات البحرية وما ان ابتعدت قليلا حتى نمت مرة اخرى.

وجدت الزورق في الصباح على مقربة مني، نزلت اليه واخذت سلتي ورمحي وقوسي وسهامي وابعدت الزورق عن امواج البحر، ثم صعدت الى حيث كنت اسكن قبل ان اغادر الجزيرة في رحلتي الفاشلة.

انتابني احساس غريب بأني امضيت مدة طويلة خارج الجزيرة وبقيت مدة من الزمن مستلقية اراقب ذلك المنظر من اعلى الصخرة. وكان كل ما استطعت مشاهدته هو عجول البحر وهي تلعب وزيد البحر يتطاير حولها وطيور النورس وهي تطير وبعث كل هذا فيّ سعادة لا توصف.

كنت مندهشة من تلك الاحاسيس التي انتابتني لانني اعتقدت قبل مدة من الزمن وفي هذا المكان نفسه اني لن احتمل البقاء ساعة واحدة على هذه الجزيرة.

نظرت الى ذلك البحر الواسع وتحول كل ذلك الخوف الذي كنت اشعر به في اثناء تلك الرحلة الى حماس كبير للبقاء هنا.

كانت جزيرة الدلافين بيتي لم يكن لدي بيت اخر

وستكـون كل الجـزيرة بيتي حتى يرجع الرجال البيض بسـفينتهم في الصيف او حتى قبله ولكن عليّ ان اشيد مكانا لي يحميني ومخزنا اضع فيه طعامي ولكن اين؟

نمت تلك الليلة على الصخرة وفي الصباح اسرعت بالبحث عن مكـان افضـل وانا اشاهد بعض الغيوم في الجهة الشمالية من الجزيرة . وكنت اعرف انها لن تتأخر في الوصول الى منطقتي وفي اعقابها العواصف. لهذا كان عليّ ايجاد مسكن لي بسرعة.

كنت احتـاج الى مكان احتمي فيه من العواصف لا يبعد كثيرا عن شاطىء المرجان ويكون كذلك قريبا من احد الينابيع. وكان هناك مكانان لهما تلك الصفات على الجزيرة، الاول على الصخرة العالية والثاني يبعد حوالي نصف فرسـخ نحـو الغرب، وللوهلة الاولى بدا المكان الأول افضل ولكن لما مر وقت طويل من دون زيارتي لتلك المنطقة قررت الذهاب اليها وتفحصها بدقة.

كان الشيء الاول الذي اصطدمت به، شيء كنت قد نسيته، ان ذلك المكان كان على مقربة من تلك الكلاب المتوحشة. وما ان وصلت الى ذلك المكان حتى خرج قائد الكلاب ووقف على باب الكهف يراقبني بحذر بعينيه

الصفراوين.

كان عليّ ان اقتل ذلك الكلب لو اردت ان ابني بيتي هناك في تلك المنطقة لان النبع الموجود هناك افضل من ذلك الموجود عند الصخرة، فهو اقل ملوحة ووفير كما انه كان على مقربة من الوهدة الصخرية وفيه حاجز من الصخور استطيع ان احتمي خلفها واصنع منها ملجأ.

والقرار الذي اتخذته يعود بجزء كبير منه الى موضوع العجول البحرية. فقد كنت استطيع مراقبتها وهي تلعب هناك وتبدو مثل البقع السود عند ارتفاع الامواج بل حتى اني كنت استطيع سماع اصواتها.

تجولت هذا اليوم حول المكان وعندما حلّ الليل وجدت اني لم اكن قد ابتعدت كثيرا عن منطقتي.

والواقع ان هناك اكثر من مكان للسكن اذ انني كنت استطيع ان اسكن بالقرب من القرية التي احرقتها لكن ذكرى الذين فقدتهم كانت تمنعني من السكن هناك.

هطل المطر مدراراً في تلك الليلة ولم استطع ايقاد النار بسبب المطر وأمضيت الليل وانا اشعر بالبرد القارس. ومما زاد الطين بلة ان المطر استمر يهطل ثلاثة ايام متوالية.

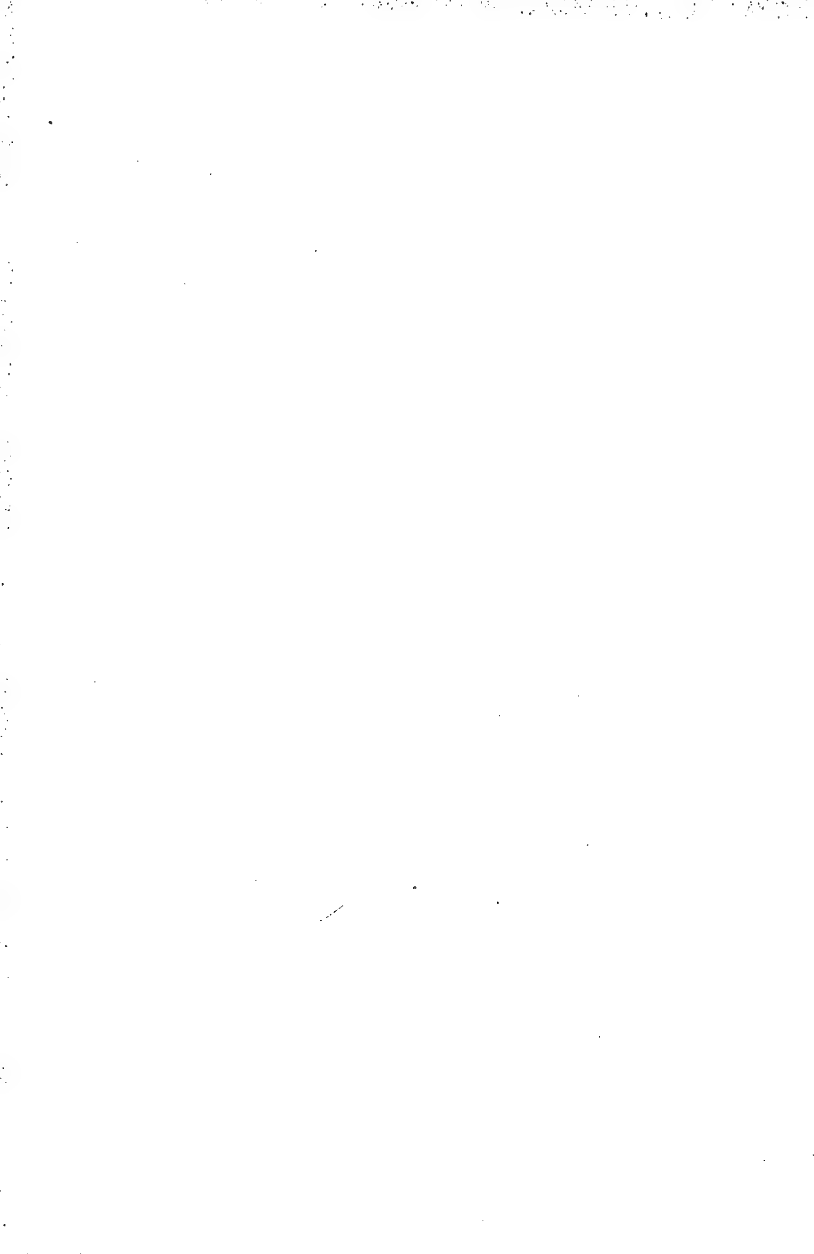
كنت احتاج الى كمية لا بأس بها من القصب او

الاخشـاب لعمـل سياج يحميني من هجـوم الكـلاب المتـوحشـة وكنت حتى ذلك الوقت قد قتلت عددا منها لكني كنت اخشى هذه المرة قطعان الثعالب التي كانت تسكن في الجزيرة.

كانت من الكثرة بحيث اني لم اعتقد اني سأستطيع التخلص منها ابدا بأستعمال الرمح. كانت تلك الثعالب ماكرة تسرق كل طعامي بخفة وبراعة ولم تكن كل حيلي بتنفع معها في اخفاء الطعام.

امضيت اليوم كله في بناء مسكني الجديد.





الفصل الحادي عشر

قبل سنوات جنح الى الشاطىء حوتان كبيران وبعد ان ماتا وتفسخا استعمل أهل القرية معظم عظام الحوتين. ذهبت الى هناك ووجدت قسما من ضلوع الحوتين مطمورة

بين الرمال. كانت من الكبر بحيث اني استخدمتها لعمل السياج. ثبتها في الارض وربطتها بالحبال التي صنعتها من الطحالب حتى اصبح السياج متينا قويا.

ولكي ادخل واخرج صنعت ممرا كافيا لمرور جسدي وكنت استطيع غلق هذا الثقب بالحجارة عند الخروج او الدخول ثم غطيته بالقش والطين كي امنع دخول مياه الامطار اليه.

عندما انتهيت من عملي وجدت اني استطعت الحصول على مسوّر يبلغ طوله ثمانية اذرع ومكان يكفي لخزن الاشياء الضرورية لي.

لكن العمل كان ناقصا فقد كان عليّ صنع سقف يحميني من البرد. وكلفني هذا العمل من الجهد والتعب ما لم اجده عند صنع السياج. اذ كان المطر شديدا وكانت الاخشاب التي استعملتها غير كافية.

في الماضي كان اهل القرية يتناقلون الاسطورة التي تقول ان الجزيرة كانت مغطاة بالغابات والاشجار العالية. كان ذلك في عهد تكوين الارض على عهد (موكات)، (تومال ايوت) وكان هذان الالهان يتناقشان كثيرا حول مختلف القضايا. فالاخير يريد موت الناس والاول كان

يعارضه. ولهذا غضب (توما ايوت) ونزل ليعيش تحت الارض واخذ معه كل ما كان يمتلكه.

اخذت ابحث في كل الجزيرة عن اخشاب اعمل بها كوخي لكني لم اجد منها ما يكفي لصنع اعمدة قوية وكنت غالبا ما ارجع الى مكاني قبل حلول المساء.

كان جهدي ينصب على جعل تلك الاخشاب مناسبة لصنع اعمدة الكوخ فالمكان كان يحتاج الى اربعة اعمدة في الاطراف والى ضعفي هذا العدد لعمل السقف. وفي النهاية وبعد جهد جهيد استطعت الحصول على تلك الاخشاب وربطت اعمدة السقف بجلود حيوانات الفقمة وغطيتها بالطحالب الحمر العريقة.

انقضى نصف فصل الصيف عندما انهيت كوخي الصغير وكنت قبل هذا انام خارج الكوخ وانا اشعر بالاطمئنان بفضل متانة السياج الذي شيدته. ومع ذلك كانت الثعالب الحمر والكلاب المتوحشة تزورني في بعض الاحيان عندما كنت اشوي بعض الطعام وتأخذ بعض عظام السياج عندما تفشل في اختراقه. اما انا فقد كنت انتهز الفرصة لاقتل بعضا منها ولكني لم استطع قتل قائدها.

وبالطبع لم أنسَ الاشياء الضرورية للمنزل ، وخاصة ادوات الطبخ فمن تلك الصخور التي كان البحر يقذفها على الشاطىء بعد ان يصقلها وجدت صخرتين لامعتين ومقعرتين وعملت على توسيع هذا التقعر بدعكهما بالرمل حتى اصبح لدي وعاءان لطبخ الطعام ومكان لحفظ مرقة السمك .

كما صنعت سلة من الاعشاب وغطيت داخلها بالقير وحصلت على وعاء لا ينفذ منه الماء .

اعتقد ان الوقت قد حان لقتل بقية الكلاب التي قتلت اخي وكنت اعرف ان اسحلتي لم تكن بالمتانة الكافية للقيام بهذا قررت صنع اسحلة جديدة وقوية تفي لهذه المهمة .

بحثت عدة ايام في الجزيرة عن المواد التي سأصنع منها الرمح والقوس والنبال . حاولت ان أصنع القوس والنبال اولا وفرحت جدا عندما وجدت ان نبالي كانت تذهب بعيدا عندما اطلقها من القوس وعندما كانت تصيب اهدافها بدقة .

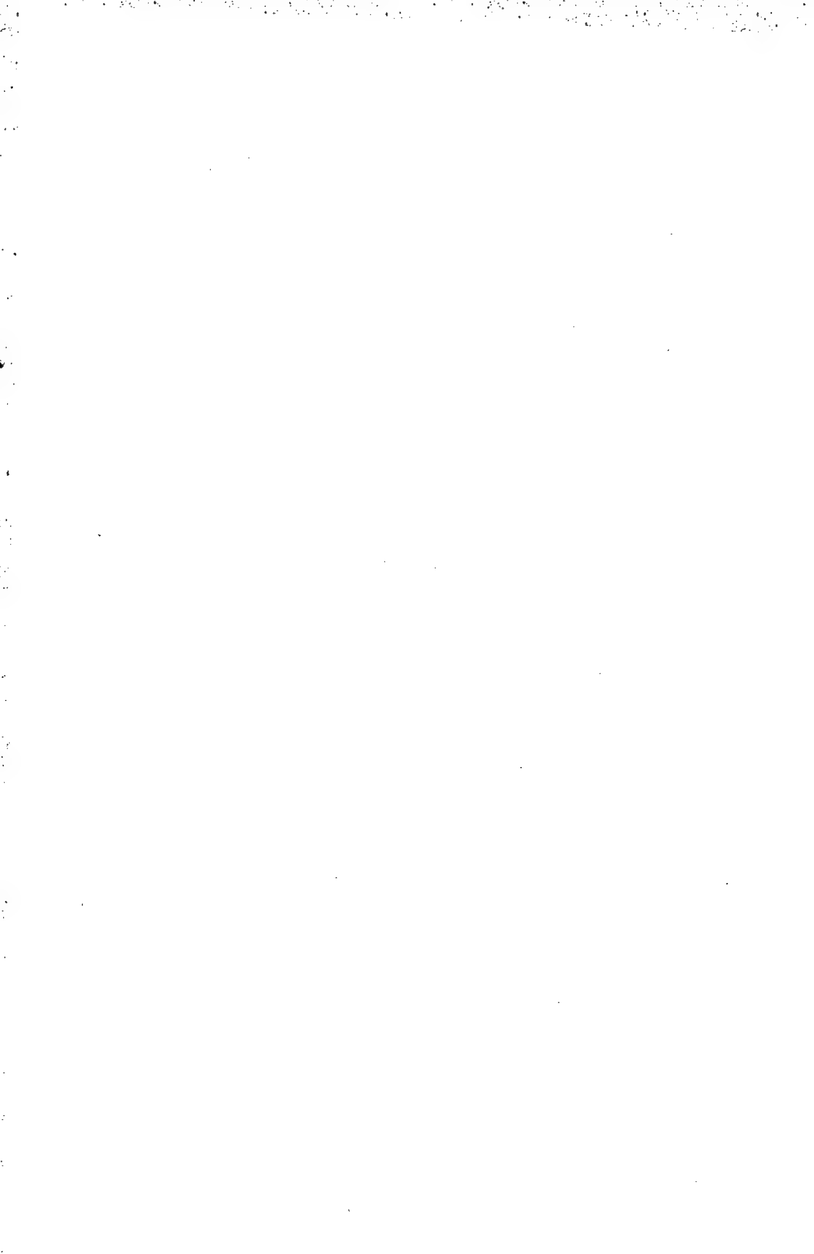
قررت التخلي عن صنع الرمح في الوقت الحاضر اذ سألت نفسي كيف سأستطيع تدبيب رأس الرمح . حاولت

ربط صخـرة صغـيرة مدببة على رأس العصا لكن تلك الصخرة لم تكن قوية ومدببة مثل ناب فيل البحر.

فكرت في حينها في قتل اسد البحر لكنني كنت اجهل الطريقة الصحيحة لقتلة من دون مساعدة احد. فحياكة شبكة من نبات الطحالب لصيد حيوان كبير مثله لم تكن بالامر السهل. اذ ان المسألة كانت تحتاج الى عدّة رجال اقوياء للقيام بهذا العمل.

ولا اتـذكـر يومـا اصـطاد فيه الـرجـال هذا الحيوان بالسهـام. كانت الـوسيلة الـوحيدة امامهم هي سحب الحيوان بعد اصطياده بالشبكة .

مازلت افكر بهذه المشكلة، فمن غير ناب اسد البحر لااستطيع ان أصنع رمحا.



الفصل الثاني عشر



لم انم في تلك الليلة التي تلت رحلتي للبحث عن اسد البحر. فقد كنت افكر بقانون القبيلة الذي يحرم على النساء ممارسة الصيد وحسبت كل الاحتمالات في اصابة

الحيوان بسهامي. ترى سيرد ذكر اسد البحر بقوة عند هجومي عليه؟ وماذا يحدث اذا جُرحت وتبعتني الكلاب المتوحشة اثناء رجوعي الى مسكني؟

فكرت في هذه الاشياء واشياء اخرى محتملة الوقوع طوال الليل. ولكن ما ان بزغ الفجر حتى توجهت نحو مكان اسود البحر. وعندما وصلت هناك كانت الحيوانات قد غادرت الصخور واجتمعت عند الشاطىء.

جلست الـذكـور على الصخـور بينما اخذت الاناث تلعب مع صغارها في البحر.

اعتقـد انـه ليس من المناسب ان اسمي صغار اسود البحـر بـ (الصغار) اذ كان حجم كل واحد منها يعادل حجم رجل كامل النمو ومع ذلك فهم لا يختلفون عن صغار البشر بشيء لا في حركاتهم ولا في تصرفاتهم.

وكانت الذكور لا تبتعد كثيرا عن بعضها الا انها كانت ذات مزاج حاد، غيورة ومستعدة للدخول في عراك مع اي حيوان يثير غضبها مهما كان السبب.

راقبت بسعادة تلك الحيوانات وهي تلعب وحاولت ان أختار من بينها ضحيتي. هبطت من مكمني بهدوء كي لا ازعج القطيع ولا اثير حفيظتهم فقد كنت اعرف مدى

شجاعتها واقدامها. لكنها لم تتحرك عند مشاهدتي اتقدم.

حملت قوسي وجعبتي بسهامها الخمسة وتقدمت الى الامـام وانـا أتحاشى اناث الحيوانات التي كانت تفزع بسرعـة . اخـترت من بينهم ذكرا شابا ليكون ضحيتي لكني تذكـرت تحـذير ابي الـذي قال ان السهـام التي تطلقها المرأة تتحطم في الهواء.

كانت المسافة التي تفصلني عنه قد تقلصت واصبحت بضع خطوات فقط. هيأت سهمي لكني لم اعرف اين اوجهه اذ اني اعرف ان جلد اسد البحر قوي جدا حتى لو كان الحيوان ضعيفا اما رأسه فكان صغيرا جدا لا يمكن ان يكون هدفا سهلا.

وبينما كنت واقفة هناك افكر بما قاله ابي تحرك الحيوان نحو الماء واعتقدت اول الامر انه سمعني اقترب لكنني شاهدته يتوجه نحو الاناث. وقبل ان يصل هناك اطلقت سهمي الاول. انطلق السهم سريعا ومرق من جانبه من دون ان يصيبه. لكني فرحت جدا لان السهم لم ينكسر في الهواء كما قال ابي.

انصب كل اهتمامي على ذكر اسد البحر الشاب بحيث

اني لم اشاهد اسد البحر العجوز وهو ينزل من الصخرة الى الماء ويتوجه الى اسد البحر الشاب.. وفي الحال نشب بينهما عراك رهيب جعل كل الاناث تهرب منهما مذعورة.

انشب اسد البحر الشاب انيابه في عنق العجوز واخذا يتحركان بقوة في الماء وتحول زبد البحر الابيض الى احمر قان..

توقف الاثنان واستعدا للهجوم على بعضهما مرة اخرى. وعندها هيأت قوسي وسهامي لاطلقها مرة اخرى على اسد البحر الشاب ولكني آثرت مشاهدته وهو يخوض تلك المعركة.

كان جسم اسد البحر العجوز مليئا بالندب من كثرة المعارك التي خاضها في السابق، وكان يرفع ذيله عاليا ويهز رأسه ويهجم بقوة على خصمه. استمرا على هذا المنوال مدة من الزمن وانتقلا من الماء الى اليابسة وهما ينشبان انيابهما في جسد بعضهما ويضربان بذيليهما بقوة في الارض.

وفي تلك اللحظة وجدت ان الاسدين اقتربا كثيرا، وبدون ان اعرف نيتهما تراجعت الى الوراء وسقطت الى الارض بعد ان تعثرت بالحجر.

شعرت بألم كبير في قدمي الا انني تمكنت من السير على الرغم من تلك الآلام خوفا من هجوم الاسدين عليّ.

الا ان الاسد العجوز استدار خلف الاسد الشاب فجأة وانشب انيابه بقوة بجسده. سقط الاسد الشاب الذي اذهلته المفاجأة على الارض وهو ينزف من عضة انياب العجوز. ولم يمهل العجوز اسد البحر الشاب اية فرصة لكي يستعيد وضعه، فهجم عليه وسحبه الى الماء وتحول الماء الازرق الى قطعة حمراء واحدث صوت ارتطامهما بالماء دويا كبيرا اشبه بارتطام صخرتين كبيرتين.

لما كان عليّ ان امشي مسافة طويلة نحو البيت قررت الرحيل عن المكان بسرعة قبل غروب الشمس، فقد كنت اعرف انه من المستحيل قطع المسافة وانا اعاني من الم في قدمي.

تركت المعركة تدور وسلكت طريقي نحو البيت وانا مازال اسمع صراخهما حتى بعد ان قطعت مسافة لا بأس بها في طريق عودتي.



الفصل الثالث عشر



عندما وصلت الى مكاني كان الالم قد اشتد بقدمي ولم استطع الدخول الى مكاني بسهولة الا بعد مدة من الزمن .

اضـطررت للبقـاء في مكاني مدة خمسة ايام بسبب قدمي التي تورمت وعـدم معـالجتي اياها لانني لم اكن امتلك الاعشاب الخاصة بذلك. كان لدي بعض الطعام الا ان الماء شح في اليوم الثالث ثم نفد تماما بعد يومين، وعندها لم يكن لدي اختيار سوى الخروج والذهاب الى النبع.

غادرت مكاني عند بزوغ الفجر واخذت معي بعض المحار مؤونة لي وتسلحت بقوسي وسهامي. مشيت ببطء شديد بسبب الالم وكنت احمـل متـاعي على ظهـري واتكىء على قوسي في بعض الاحيان. لم يكن الـطريق طويلا لكنه كان مليئا بالصخور مما اضطرني الى الدوران مسـافـة طويلة للوصـول الى النبـع. عندما وصلت الى الصخـرة العـالية كانت الشمس قد ارتفعت الى كبـد السماء، جلست في حينها على صخرة طلبا للراحة وقطعت ثمرة من اثمار نبات الصبير وشربت عصيرها كي اطفىء جزءا من العطش الذي كنت اعانيه.

وفجأة وبينما كنت مرتاحة على تلك الصخرة شاهدت ذلـك الكلب الـرمـادي الكبير يبرز بين الصخور. كان يحـدق فيّ بثبات ويقف متوثبا، بعد قليل حضرت بقية

الكلاب ووقفت خلفه تحدق بي هي الاخرى.

سحبت احد السهام من جعبتي وثبّته على القوس بسرعة الا ان الكلاب استدارت وهربت بسرعة عجيبة.

اخذت استرق السمع حولي فقد كنت اعرف ان الكلاب على مقربة مني تمشي من دون احداث اي ضجة وانها قد تحيط بي من كل جانب على حين غفلة.

لكن الالم ازداد في تلك اللحظات واضطررت لترك قوسي وسهامي والاكتفاء بالرمح والاتكاء عليه في الوقت نفسه.

بعد ان وصلت الى النبع دخلت في شق صخرة كبيرة واحتميت بها والقيت بنفسي على الارض واخذت اشرب من مياه النبع بلهفة كبيرة واراقب في الوقت نفسه الوهدة المطلة على النبع خوفا من مجيء الكلاب.

كانت هناك صخرة كبيرة سوداء تقع امام مدخل الكهف الذي تحتمي فيه الكلاب تحيط بها الاعشاب الكثيفة ولكني استطعت مع ذلك رؤية رأس ذلك الكلب الضخم من بين تلك الاعشاب وهو يراقبني بعينيه اللامعتين، وبعد قليل ظهر راس آخر الى جانبه وتبعه راس اخر واخر حتى اجتمع الكل عند ذلك المكان. لكن

الكلاب كانت بعيدة عن مرمى رمحي وبعيدة عني ايضا.

وبعد قليل انتبهت الى ان قسما من هذه الكلاب اخذ يتحرك الى الجهة المقابلة لقائد الكلاب ثم أخفت نفسها بين الاعشاب في انتظار عودتي الى البيت.

وصلت الى احد الكهوف وتسلقت بسرعة الصخرة العالية وهبطت الى الداخل وانا اسمع وقع اقدام الكلاب من فوق رأسي واسمع اصوات تكسر الاعشاب الصغيرة الجافة تحت اقدامها. وبعد قليل ساد الصمت.

كنت اعرف ان الكلاب ستختفي بين الاعشاب الكثيفة عند حلول الليل وانها لن تجرؤ على دخول الكهف على الرغم من ان مدخل الكهف كان ضيقا الا انه كان واسعا من الداخل يكفي لوقوفي بحرية. كان الماء ينزل من السقف بكميات كبيرة. والجو شديد البرودة. الا انني تحملت تلك البرودة وبقيت هناك خمسة ايام متوالية حتى شفيت من آلامي.

قررت ان اتخذ من هذا المكان مقرا لي في حالات اصاباتي البالغة، اذا استطعت الوصول اليه بالطبع.

كان الكهف يمتد بعيدا الى الداخل ويتفرع الى اكثر

من اتجاه الا انني اكتفيت بالمساحة الموجودة عند المدخل كي استطيع رؤية الشمس وكنت استطيع من مكاني رؤية تلك الاشكـال التي رسمها اجدادي على الجدران على الرغم من عدم معرفتي لحد الان لماذا كانوا يستعملون هذا الكهف.

كانت الاشكال تمثل بجعات تعوم او تطير، دلافين، طيور نورس، حيتـان ، اسـود بحـر، غربان، وكلاب وثعالب. . . كما انهم حفروا حوضين صغيرين استعملتهما لحفظ الماء.حفرتُ بعض الثقوب في الجدران وصنعت منها مكـانـا مناسبا لحفظ الحبوب وانتزعت بعض الاعشاب واخفيتهـا في المكـان لاستعـمالها عند الحاجة ثم اخفيت القوس والرمح والسهام التي صنعتها اول مرة.

وبعد ان صنعت مكـانا مريحا للنوم جمعت بعض الاعشـاب والاخشـاب الصغيرة لحرقها عند الضرورة. وعند هذا الحد خرجت من الكهف وسددت مدخله الا بما يكفي لدخول جسمي فقط.

عملت كل هذه الاشياء وانا افكر بتلك الايام التي قضيتها وانا مريضة من غير شراب، لقد كان عملا شاقا يمكن مقارنته بعمل رجال القبيلة الاشداء.

بعد ان شفيت لم ارغب في الذهاب الى حيث اسود البحر الا بعد ان انتهيت من عمل ملجأ لي داخل الكهف. وبُعد ذلك ذهبت الى منطقة اسود البحر وكان الجو رائعا والبحر في حالة جزر.

لم اشاهد احدا على الصخور الا إني وجدت مجموعة من طيور النورس مجتمعة في مكان واحد. وعندما اقتربت وجدت اسد البحر العجوز ميتا وقد تحول الى طعام للطيور والاسماك.

اخيرا عثرت على مبتغاي.

كانت انياب اسد البحر العجوز مدوّرة وكبيرة بحجم كف يدي ومنحنية من طرفها المدبب.

كنت واثقة من اني سأتمكن من مطاردة الكلاب المتوحشة بعد ان صنعت رمحين قويين ، بل حتى اني كنت على استعداد للدخول الى عقر دارها.

الفصل الرابع عشر



اتـذكـر اني كنت قد شاهـدت مثـل هذه الكـلاب المتوحشة في جزيرة الدلافين عندما كنت صغيرة جدا ولكن بعـد ان قتـل الاغراب رجال القرية التحقت كلابنا الى

مجوعة الكلاب المتوحشة واصبحت مثلها.

وكان اهل القرية قد قرروا في ذلك الوقت قتل تلك الكـلاب المتـوحشة التي اخذت تجوب القرية في الليل بحثا عن الطعام، لكن وصول الزورق جعلهم يغادرون القرية ويتركون الكلاب وشأنها.

كنت واثقة ان الكلاب ازدادت شراسة بفضل قائدها ذي الشعر الرمادي الكث ولم اكن انا ولا اهل القرية قد شاهدناه قبل وصول الصيادين الاغراب. واعتقد انه كان من سلالة كلاب الاليونياتيين.

أستطعت في غضون تلك المدة الطويلة من قتل بعض هذه الكلاب الا انها كانت تزداد في كل مرة وتصبح اكثر شراسة.

ولكي انفذ ما كنت قد عزمت عليه توجهت الى مكان مرتفع بالقرب من منطقة تجمعها واخذت اراقبها وبعد قليل نزلت الى الاسفـل وحملت معي بعض الأعشاب اليابسة وتركتها عند مدخل الكهف واحرقتها وانا اعرف ان الكلاب كانت في الداخل تعبة من تجوالها الليلي بحثا عن طعام.

شبت النار بسرعة وارتفعت السنة اللهب عاليا وبدأ

الدخان ينفذ الى داخل الكهف بسرعة . ومع ذلك لم اكن اتوقع قتل اكثر من خمسة كلاب في هذه المرة، لكني كنت سأكتفي عن كل ذلك لو استطعت قتل قائدها .

لم تخرج الكلاب في البداية عندما كانت النار شديدة الا ان ثلاثة منها قفزت من بين النيران واختفت بسرعة عن ناظري، وبعد ان خفّت حدّة النار ظهرت اربعة كلاب وتبعتها ثلاثة اخرى وهي مذعورة واخيرا ظهر قائدها . وكنت قد قررت الاحتفاظ بسهامي الخمسة كلها له وحده .

وعلى عكس البقية التي ولت مذعورة تقدم القائد ببطء وقفز من فوق النار ووقف امام الكهف وهو يتنفس بسرعة .

كنت على مقربة منه الى الحد الذي كنت استطيع فيه لمس انفه لكنه لم يشاهدني الى ان صوبت نحوه سهمي ومع ذلك لم يفزع من حركتي .

اطلقت سهمي الاول عليه فانغرس كله في صدره، دار نصف دورة وسقط على الارض وعندها اطلقت عليه سهمي الثاني الا انه لم يصبه .

في تلك اللحظة خرجت ثلاثة كلاب وهي بحالة

هيجان فأطلقت عليها ما تبقى من سهامي وقتلت اثنين منها .

اسرعت نحو السهام الطائشة والتقطتها وتوجهت الى المكان الذي سقط فيه القائد لكنني لم اجده لانه كان قد هرب في اثناء قتلي بقية الكلاب ، الا انه لن يتمكن من السير بعيدا بسبب اصابته . . وبعد ان بحثت عنه مدة من الزمن قررت الرجوع الى كهفها والدخول اليها هذه المرة .

كان المكان واسعا ومضيئا بسبب اشعة الشمس . وجدت في الركن الاقصى من الكهف ثعلبة ميتة وبجانبها تمددت كلبة سوداء وهي ترضع صغارها الاربعة . وما ان اقتربت حتى ركض نحوي احد الجراء لكن امه زمجرت علي عندما حاولت حمله . ولما لم اجد احدا هناك عدا تلك الجراء الاربعة وامهم غادرت المكان باتجاه البيت .

ما ان مشيت مسافة قصيرة حتى رأيت جزءا من السهم الذي اطلقته على الكلب الضخم ثم شاهدت اثارا غير متناسقة كما لو ان الكلب كان يمشي ببطء وبتمايل .

تبعت اثار الكلب حتى وهدة الشاطىء لكنني اضطررت الى الرجوع الى البيت بسبب حلول الظلام وتركت مهمتي الى اليوم التالي .

في اليوم التالي هطل المطر واضطررت للبقاء في مكاني وكرست كل وقتي في صناعة المزيد من الاسهم. وبعد يومين خرجت من كوخي لاتتبع آثار الكلاب التي كانت تحوم حولي في الليلتين الماضيتين. لكنني لم اشاهد اثرها بسبب مياه الامطار. ولشدة دهشتي وجدت قائدها ممدّداً امامي بعد ان مشيت مسافة من كوخي.

كان ممددا على الارض وبقية السهم مغروسا في صدرة ومع ذلك لم اقترب منه كثيرا ومع اني كنت واثقة من انه كان ميتا الا انني صوبت رمحي نحوه وكنت اوشك ان اطعنه عندما حرك راسه الى الاعلى ونظر اليّ ثم سقط مرة اخرى.

بقيت لحظة في حيرة من امري لا اعرف بأي سلاح اضربه. فتلك لم تكن المرة الاولى التي اشاهد فيها حيوانا يتظاهر بالموت ويهرب في اللحظة الاخيرة.

كانت المسافة التي تفضي اليه مناسبة لاستخدام الرمح الا انني لم اكن اعرف استخدامه مثلما افعل مع السهم ولهذا فقد صعدت فوق صخرة عالية تتيح لي مراقبة عدوي اذا ماحاول الهرب وحملت قوسي وسهامي معي. شددت وتر القوس وتهيأت لاطلاق السهم على راس

الكلب الا انني ترددت مرة اخرى من غير ان اعرف السبب.

كنت واقفة على الصخرة والسهم مهيئا لكنني لم اطلق. كان الكلب الضخم مستلقيا على الارض من دون حراك ولربما كان هذا هو السبب في عدم رميه بالسهم. بقيت مدة من الزمن اراقبه ثم قفزت الى الاسفل.

لم يتحرك الكلب عندما اقتربت منه ومع ذلك فقد كنت اشك في امره. عندما وصلت اليه وجدته يتنفس وقد انغرس السهم في صدره والدم يملأ الارض ومنطقة الجرح. صرت على مقربة منه وكان الكلب يرقد بلا حراك مبللا. حركته ورفعته عن الارض، فتح احدى عينيه ونظر اليّ.

ومن غير ان اعرف لماذا حملته وكان جسمه ثقيلا مثل اجسام الموتى. كانت الطريقة الوحيدة لرفعه هي حمله على ظهري وهكذا فعلت. كنت ارتاح بين مدة واخرى من حملي الثقيل واضطر الى المشي ببطء بسبب حجمه.

عندما وصلت الى البيت لم استطع ادخاله الى الكوخ من ذلك الممر الذي كنت ادخل منه، واضطررت الى خلع ضلعين من السياج لادخاله الى هناك.

لحسن الحظ لم يكن رأس السهم كبيرا، لكنه كان قد انغرس عميقا في صدره ومع ذلك لم اجد صعوبة في نزع السهم والغـريب انه لم يتحرك ولم ينظر اليّ حتى عندما نظفت له الجرح ووضعت عليه بعض الاعشاب

خرجت اليوم لجمع الغذاء بعد ان وضعت قليلا من الماء للكلب، لان سلالي ورفوفي كانت فارغة، ومع اني تركته هناك يعاني من جروحه لقد تركت له الباب مفتوحا لعله يخرج لكنه لم يفعل هذا.

عنـدمـا رجعت الى مكاني كان الكلب مايزال هناك يتنفس من دون ان يتحرك من مكانه.

نظفت له الجــرح مرة اخــرى بالاعشـاب نفسهـا، ولاحظت انه كان يحرك رأسه الى الاعلى فأسرعت وسقيته بعض الماء . كانت المرة الا ولى التي يشرب فيها منذ ان وجدته جريحا.

قبـل ان اذهب للنـوم اعـطيتـه قليلا من الماء. وفي الصبــاح تركت له بعض الــطعـام وخـرجت اصـطاد السمك. وعند عودتي وجدت انه كان قد شرب كل الماء وجلس في ركن الكـوخ يراقبني واستمر على هذه الحالة حتى عندما اشعلت بعض النار وهيأت بعض الطعام.

نمت في تلك الليلة في اعلى الصخرة خوفا من ضيفي .
عندما حل الفجر خرجت من بيتي وتركت النفق الصغير مفتوحا حتى يخرج الكلب منه اذا كانت هذه هي رغبته .

عند عودتي كان الكلب مايزال مستقليا في الشمس وقد وضع رأسه بين ارجله، نظرت الى جسمه الهزيل والقيت اليه باحدى السمكتين الكبيرتين اللتين اصدتهما . وبعد ان أكل السمكة اقترب مني واضطجع بقرب النار واخذ يراقبني بعينيه العسليتين .

نمت في الايام الاربعة التالية على الصخرة وكنت اخرج كل صباح من دون ان اغلق النفق لعله يخرج . في البداية كنت أجلب له كل يوم سمكة لكنه لم يكن يأخذها من يدي مباشرة، وفي احد الايام تقدم مني وهو يؤخر رجلا ويقدم رجلا وتناول السمكة من يدي .

في اليوم الخامس رجعت الى البيت في وقت مبكر على غير عادتي لكني لم اجده ينتظرني عند السياج . داخلني شعور غريب واحاسيس مختلفة .

اخذت اصيح عليه «كلب ! كلب!» ناديته هكذا بكل بساطة لانني لم اطلق عليه اسما عندما كان موجودا معي .

دخلت كوخي وهممت بمناداته الا انني وجدته يتمطى

ويتثاءب وكأنه كان قد نهض للتو من نومه ، نظر اولا الى السمكة التي كنت احملها ثم اليّ وهز ذيله فرحا .

نمت هذه الليلة في الكــوخ وقبل ان اغمض عيني فكرت بالاسم الذي سأطلقه عليه اذ لا يمكن ان استمر بمناداته (كلب)، قررت ان اسميه (رونتو) الذي يعني «عيون الثعلب» .



الفصل الخامس عشر



لم يعـد زورق الرجال البيض في ذلك الربيع ولا في الصيف الذي تلاه. وعلى اية حال فقد كنت اراقب البحر اينما حللت، سواء كنت اصيد عند الشاطىء، او عندما

اقف في مكاني على الصخرة، او حتى عندما كنت اعمل في صنع زورقي.وكنت في كل تلك الأثناء اترقب فيها وصول الرجال البيض واخشى في الوقت نفسه وصول الصيادين الاغراب.

لم اكن اعرف ما الذي سأفعله عند وصول الاغراب مرة اخرى الى الجزيرة. كنت استطيع الاختفاء في ذلك الكهف الذي وجدته، وجهزته بالغذاء لانه كان محاطا بالاعشاب، ويقع في الجانب المطل على البحر وقرب النبع الذي لم يستعمله الاغراب اثناء وجودهم في الجزيرة في المرة السابقة، لكنني مع ذلك كنت اخشى ان يكتشفوه مصادفة. عليّ اذن في هذه الحالة اعداد ترتيبات اخرى لهربي منهم.

عملت في هذه الايام بجد لانجاز زورقي الذي تركته قرب البحر وذهبت بعد ذلك لاتفحص المكان الذي ترك فيه اهالي القرية الزوارق قبل ذهابهم مع البيض.

وجدت بعض الزوارق نصف مطمورة وقد تيبّست الواحها. وكان تصليح هذه الزوارق يحتاج الى جهد كبير لا اقدر عليه الا انني صمّمت على الدخول في هذه المغامرة.

لم تكن المسألة سهلة ابدا. فبعد ان حفرت اياما عديدة في ذلك الجو الحار لاستخراج الزوارق قررت ان انام هناك كسبا للوقت.

لكن تلك الـزوارق كانت من الكـبر بحيث اني لم استـطع سحبها الى الماء واستعمالها بسهولة لذلك قررت صنع زورق صغير يتسع لي واستطيع قيادته بيسر.
فككت الـواح الـزوارق بعـد ان قطعت حبال نبات الـطحـالب وبعد ان ازحت القير عن قعرها ثم قطعت الالواح الى النصف بسكيني التي صنعتها من الحجر الاسود.

عندما اصبحت الالواح جاهزة اتبعت الطريقة نفسها التي كان سكان قبيلتنا يتبعونها في صنع الزوارق. وفي غضـون تلك المدة التي عملت فيها في صنع الزورق لم يفارقني (رونتو) ابدا، وكان يقضي معظم وقته نائما في ظل الزورق او كان يركض هنا او هناك على رمال الشاطىء وهو ينبح ويطارد البجع التي كانت تعيش هناك. ومع انه كان يبذل قصارى جهده لاصطياد احدى البجعات الا انه كان دائما يعود خائبا وهو يلهث.

اصبح لديّ زورق صغير لكنه لم يكن جميلا بعد ان

عملت به كثيرا .

كرست كل وقتي للعب مع (رونتو) والتحدث معه . تعلم اسمه بسرعة اضافة الى كلمات اخرى مثل (زالويت) التي تعني بجعة او (نايب) وتعني سمكة بلغتنا . كنت أتحدث معه دائما كما لو انني كنت اتحدث مع احد افراد اسرتي او قبيلتي . قلت له مرة عندما سرق احدى السمكات التي كنت اعدها طعاما لي :

ـ رونتو، قل لي لماذا انت جميل ولص في الوقت نفسه .

وكان يطأطيء رأسه على الرغم من انه كان يعرف كلمتين فقط من تلك الكلمات .

وفي احد الايام قلت له :

ـ اليوم جميل جداً، والبحر هادىء ورائع والسماء تبدو مثل محارة زرقاء، كم من الوقت سيدوم هذا الجو بأعتقادك؟

كان (رونتو) ينظر اليّ كما لو انه كان يعرف ماكنت اقوله .

وبفضل تلك الطريقة في الحديث معه استطعت ان اتخلص من ذلك الشعور القاسي بالوحدة التي كنت اشعر بها .

قررت ان اجـرب الزورق والابحار به حول الجزيرة للتأكد من ان المياه لا تتسرب اليه.

هنــاك العـديد من الكهـوف التي تقـع على البحـر مباشرة، البعض منها ذو مدخل كبير والاخر لا يتسع لمرور شخص واحد. وكان هناك كهف يقع تحت الصخرة التي كنت اسكن فوقها.

لم يكن مدخـل ذلـك الكهف الذي يقع على البحر مبـاشرة كبـيراً لكنـه كان يكفي لدخـول الـزورق. اما الداخل فقد كان واسعاً وكبيراً، وكانت جدرانه سوداً عدا تلك اللحـظات التي كانت اشعة الشمس تدخل فيه، وكنت اشاهد في حينها اطنانا من الاسماك تسبح. بسعادة وحــرية. كانت تلك الاســماك تختلف عن تلك التي اشاهدها في البحر وقد كانت عيونها كبيرة وكان البعض منها يسبح والطحالب ملتصقة به.

كان ذلك الكهف الذي دخلته يؤدي الى كهف آخر لكنـه كان مظلماً لم أستطع التعرف على ملامحه جيداً. وكان السكون يعم الكهف حتى انني كنت اسمع صوت تلاطم الامواج في الخارج وكأنها وشوشة خفيفة، وفكرت لحظتهـا في الالـه (تـوما ايوات) الذي غضب على الاله

(موكات) واختفى في اعماق الارض وسألت نفسي اذا كان في ذلك المكان.

لمحت في نهاية الكهف خيطاً رفيعاً من النور وبدلاً من الرجوع قررت تتبع مصدر الضوء، وبعد ان جذفت يميناً ويساراً استطعت الوصول الى كهف آخر يشبه ذلك الذي دخلته.

كان هناك نتوء كبير في الصخرة وفيها فتحة تطل على البحر. ومع ان المد كان عاليا الا انني لم استطع الوصول اليها. وبدا لي ذلك المكان مثاليا لاخفاء الزورق وتصورت ان تلك الفتحة ستقودني مباشرة الى وهدة الشاطىء التي تقع عند كوخي . وكان هذا الشيء هو الذي احتاجه بالفعل اذ سيكون الزورق في متناول يدي كلما احتجت اليه.

قلت بسعادة لرونتو:

ـ لقد وقعنا على اكتشاف كبير.

لم يسمع رونتو فقد كان يراقب «السمكة الشيطان» وهي تسبح عند مدخل الكهف وكان لهذه السمكة التي يسميها البعض بـ (الاخطبوط) رأس صغير وعيون بارزة وعدة اذرع. اخذ (رونتو) يراقب ذلك الشيء الاسود

الذي كان يسبح بصمت وفضول.

تركت الزورق ينساب مع الماء وقعدت القرفصاء كي اخفي نفسي عن ذلك الحيوان منتهزة الفرصة المناسبة لاطلاق رمحي عليه.

كان ذلك الحيوان يسبح بالقرب منا ويحرك كل اذرعه.

وعادة ما تكون تلك الحيوانات شديدة الخطورة اذا صادف وجودها بالقرب منك، لان اذرعها الطويلة مثل اذرع الرجال كانت بأمكانها الوصول الى ضحاياها وسحبها الى الاسفل.

لما كان رونتو واقفا في مقدمة القارب فقد اضطررت للرجوع الى الوراء لاحافظ على توازن القارب واكون في وضع مناسب لاطلاق الرمح على الاخطبوط. لكنه ما ان شاهدني حتى اطلق سائلاً (١) كثيفا اسود واختفى في الحال.

كنت اعرف انه لن يبقى في الوسط ولهذا فقد وجهت

---

(١) هذا النوع هو من أنواع الاخطبوطات التي تسمى (الحبار) وهو عادة يطلق مادة سوداء لتضليل الأعداء.

(المترجم)

رمحي الى الجانب الاخر لكني وجدته بعد قليل وقد ابتعد عن المكان وسبح بعيداً من دون ان يصيبه رمحي .

قلت لرونتو الذي لم يكف عن مراقبة تلك البقعة السوداء

ـ عليك ان تتعلم الكثير من هذا الحيوان .

لم يجبني رونتو ولم يصدر اي صوت . التفت الى الناحية الأخرى ولم ينظر الى الماء حتى عندما اصبح لونه رائعا .

عندما فشلت في اصطياد الاخطبوط قررت صنع رمح خاص لاصطياده في الصيف القادم لانني كنت اعرف مذاق لحمه الطيب .

جذفت نحو الشاطىء وانا اشعر بالسعادة لتلك الجولة ولذلك الزورق الصغيرة الخفيف الذي صنعته وحدي .

الفصل السادس عشر



هبت العواصف التي ترافقها الامطار القوية مبكرة هذا الشتاء. وكنت قد اعددت لنفسي ثيابا جديدة للشتاء واقضي معظم وقتي في صنع الرمح الجديد لصيد

الاخطبوط الكبير. لقد شاهدت ابي وهو يصنع الاسلحة لكني لا اتذكر اني راقبته على امل صنع تلك الاسلحة، ومع ذلك فبفضل تلك الذكريات وبعد عدة محاولات استطعت في النهاية صنع احد تلك الرماح. كانت قد بقيت لدي اربعة من انياب اسد البحر لكنني كسرت ثلاثة منها في محاولتي صنع رمح جديد واستطعت المحافظة على الناب الاخير وشددته بقوة في نهاية عصا قوية. ثم عملت حلقة صغيرة ثبتها في نهاية الطرف وربطتها بحبل طويل لسحب الرمح والحيوان في حالة اصابته.

في اليوم الاول من ايام الربيع نزلت الى شاطىء المرجان وانا احمل سلاحي الجديد ولم يرافقني (رونتو) لاني تركته يخرج وحده في الجوار.

وكانت الكلاب غالبا ما تقترب منا قبل هذا الموسم ولم يكن رونتو يعيرها ادنى اهتمام قبل ذلك الا ان تصرفاته تغيرت وبدأت أقلق عليه. فقد كان يعوي طوال الوقت ويتحرك من جهة الى جهة من دون توقف. وكان يرفض الاكل في كثير من الاحيان. ولهذا فقد آثرت ان يذهب وحده.

شعرت بالسعادة وانا اعود مرة اخرى الى البحر بعد تلك العواصف الشتوية التي مرت عليّ وخاصة وانا احمل رمحي الجديد معي .

وبينما كنت اتتبع ذلك الاخطبوط الكبير لم اتوقف لحظة عن التفكير بـ (رونتو) ، اذ كانت كل الامور تجري بشكل حسن حتى تلك اللحظة وغياب (رونتو) قد يؤثر عليّ كثيرا. ترى هل سيرجع رونتو الى البيت ام انه سيلتحق بقطيع الكلاب المتوحشة مرة اخرى ؟ كنت أعرف انيلن استطيع قتله اذا رجع اليهم بعدما اصبح صديقي .

عندما بدأت الشمس بالمغيب اخفيت الزورق في الكهف ورجعت الى البيت وانا احمل صيدي من الاسماك وكنت اوشك ان ابحث عن طريق جديد يؤدي الى كوخي عندما عدلت عن الفكرة خوفا من ان يراني الاغراب من سفنهم في حالة وصولهم. عندما وصلت الى مكاني كنت اشعر بالتعب فقد كانت الصخرة عالية وشديدة الميلان .

كان صباح اليوم التالي رائعا وهادئا لم اسمح فيه سوى اصوات العصافير الصغيرة وهي تزقزق بين الحشائش .

وفجأة سمعت صوت عراك بين الكلاب . هرعت نحو مصدر الصوت بعد ان حملت قوسي وسهامي وتتبعت آثار اقدام الكلاب الكثيرة الموجودة عند النبع واستطعت التعرف على اثار اقدام رونتو لكبرها .

وفي تلك اللحظة سمعت أصوات الكلاب مرّة أخرى، فشققت طريقي بصعوبة في تلك الوهدة وكنت أتعثر بسبب طول القوس .

وبعد ان وصلت الى الوهدة التي تطل على مرج كبير يمتد حتى حافة الصخرة العالية شاهدت (رونتو) منتصبا على تلة صغيرة من قشور المحار التي كان سكان قبيلتي يتركونها هناك .

في البداية اعتقدت ان الكلاب التي كانت واقفة تحته قد حاصرته وانها كانت مستعدة للهجوم عليه مرة اخرى لكنني اكتشفت ان هناك اثنين من الكلاب كانا منفصلين عن البقية وعن (رونتو) وكان انفاهما مليئان بالدماء .

احد هذين الكلبين هو القائد الجديد الذي حل محل (رونتو) اما الاخر فلم اشاهده من قبل . ويبدو ان المعركة كانت تدور بين رونتو وهذين الكلبين اما بقية الكلاب فقد وقفت على مبعدة منهم للقضاء على الكلب الخاسر .

لم تشعـر الكـلاب بخـطواتي وانـا اقترب منها لشدة الضجيج الذي احدثته الا ان (رونتو) عرف منذ اللحظة الاولى بوصولي ، فقد رفع راسه واخذ يشم الهواء من دون توقف.

كانت المعركة قد بدأت عند الوهدة وانتقلت الى هذا المكـان ويبـدو ان (رونتـو) قد حمى ظهره من الهجمات بالصخرة العالية في هذه المرة بعد ان كان العراك سهلا على الاثنين في مهاجمة كلب واحد. وقف رونتو يلعق جراحه بين الحين والحين لكنه لم يغفل عن مراقبته الكلبين الاخرين.

وعاد رونتو يلعق جراحه مرة اخرى واغفل هذه المرة مراقبته عدوّيه، اعتقدت ان في الامر خدعة من جانب رونتو وبالفعل فما ان تقدما نحوه حتى هجم عليهما دون ان يترك لهما مجالا لعضة. صرع الاول بعد ان انشب نابه في رجله الامـامية وجعله يهرب وهو يعرج ويعوي ، اما الثاني فقد صعد الى قمة التلة الصغيرة وحاول ان يهاجم رونتـو الا ان كلبي عاد ودار حولـه وعضـه من حنجرته وتدحرج الاثنان في تلك اللحظة حتى وصلا الى الاسفل. في تلك اللحـظة وعندما وصلا الى الارض اقتربت بقية

الكلاب من (رونتو) فما كان مني الا ان شددت وتر القوس ووضعت فيه احد السهام وتهيأت لاطلاقه. لكنني توقفت من غير ان اعرف السبب في الوقت الذي كنت اوشك ان انهي القتال.

دار الكلب الثاني دورات حول نفسه ثم حاول أن يقفز على رونتو من الخلف الا ان رونتو الذي كان مازال واقفا على العشب فطن الى الامر وقفز بسرعة البرق على الكلب وانشب انيابه فيه.

تدحرجا كثيرا هذه المرة ولكن من دون ان يدعه رونتو يفلت منه كان الجميع يراقب المعركة بصمت حتى بعد ان ترك رونتو الكلب مضرجا بدمائه وصعد الى اعلى التلة وأطلق عوداء عاليا لم أسمع مثله من قبل.

نزل المنتصر ومر بالقرب مني من دون ان ينظر اليّ وصعد الى الكوخ . وعندما رجعت الى مكاني وجدته ينتظرني هناك كما لو انه لم يفارق الكوخ ابدا ولم يدخل تلك المعركة.

لم يتركني رونتو بعد تلك المعركة ولم تعد الكلاب التي تفرقت وأصبحت مجموعتين لسبب مازلت اجهله، الى تلك المنطقة ابدا.

الفصل السابع عشر



بعـد ذلـك الفصل المليء بالزهور والطيور المختلفة التي انتشرت في الجـزيرة دخلنـا مرة اخـرى في فصل الصيف من دون ان تتـاح لي الفرصة لصيد الاخطبوط

الضخم الذي يعيش في الكهف. وكنت اذهب كل يوم مع رونتو الى مخبئه واترصده بحذر من مكاني في الزورق لكني لم اعثر عليه على الرغم من انني كنت اشاهد بعض الاخطبوطات الصغيرة وهي تسبح تحت الزورق.

واخيرا مللت من البحث عنه واخذت اجمع القواقع الكبيرة وتخزين لحمها للشتاء القادم. كان طعم قسم من هذا المحار لذيذاً جدا وخاصة تلك القواقع الحمر اما الخضر والسود فلم تكن بالجودة والطعم نفسهما.

وفي احد الايام خرجنا من الكهف انا ورونتو واقتربنا من الصخرة الكبيرة وكنا في الأيام السابقة قد قضينا معظم وقتنا بجمع القواقع وترصد الاخطبوط.

كان يوما هادئا والمد في ادنى مستوى له بحيث ظهر جزء كبير من تلك الصخرة التي تغمرها المياه عادة. وكان رونتو يمشي امامي وفي فمه سمكة صغيرة الا انه ترك السمكة تسقط في الماء واخذ ينظر الى المياه تحت الصخرة وكان الاخطبوط يتحرك بنعومة بفم الاخطبوط العملاق.

كنت اعد وجوده هناك مسألة غريبة فهو عادة ما يفضل الاماكن العميقة والمظلمة. لعله خرج للبحث عن طعام له؟

كان يتحرك قريبا من السطح وذكرني شكله بالاشباح التي كنت اتخيلها اثناء نومي وحيدة.

تقدمت نحو حافة الصخرة وكان مايزال على مبعدة مني ولكنني كنت اشاهده يقترب بحذر من احد الاسماك وهو يتحرك بهدوء.

هيأت رمحي ووقفت متأهبة ووقف رونتو الى جانبي وهو صامت من دون حراك ونحن ننتظر اقتراب الاخطبوط منا.

وما ان اصبح على مسافة لا بأس بها اطلقت رمحي عليه بقوة.

اكتشفت ان النصل انفصل عن الرمح وانغرس عمود الرمح فيه، وفي تلك اللحظة اخذ الحبل المربوط بالرمح يشتد ويضغط على يدي. تراجعت الى الخلف قليلا ثم تقدمت الى الامام وانا امسك بطرف الحبل وتركت باقي الحبل ينساب في الماء.

كنت اعرف ان الاخطبوط لا يتحرك بالسرعة والحركة اللتين تقوم بهما بقية الحيوانات حينما تقع فريسه في الاسر، الا ان ثقل جمسه جعلني انحني الى الامام ولهذا امسكت بالحبل بكلتا يدي وثبت كلتا قدمي على الصخور بقوة

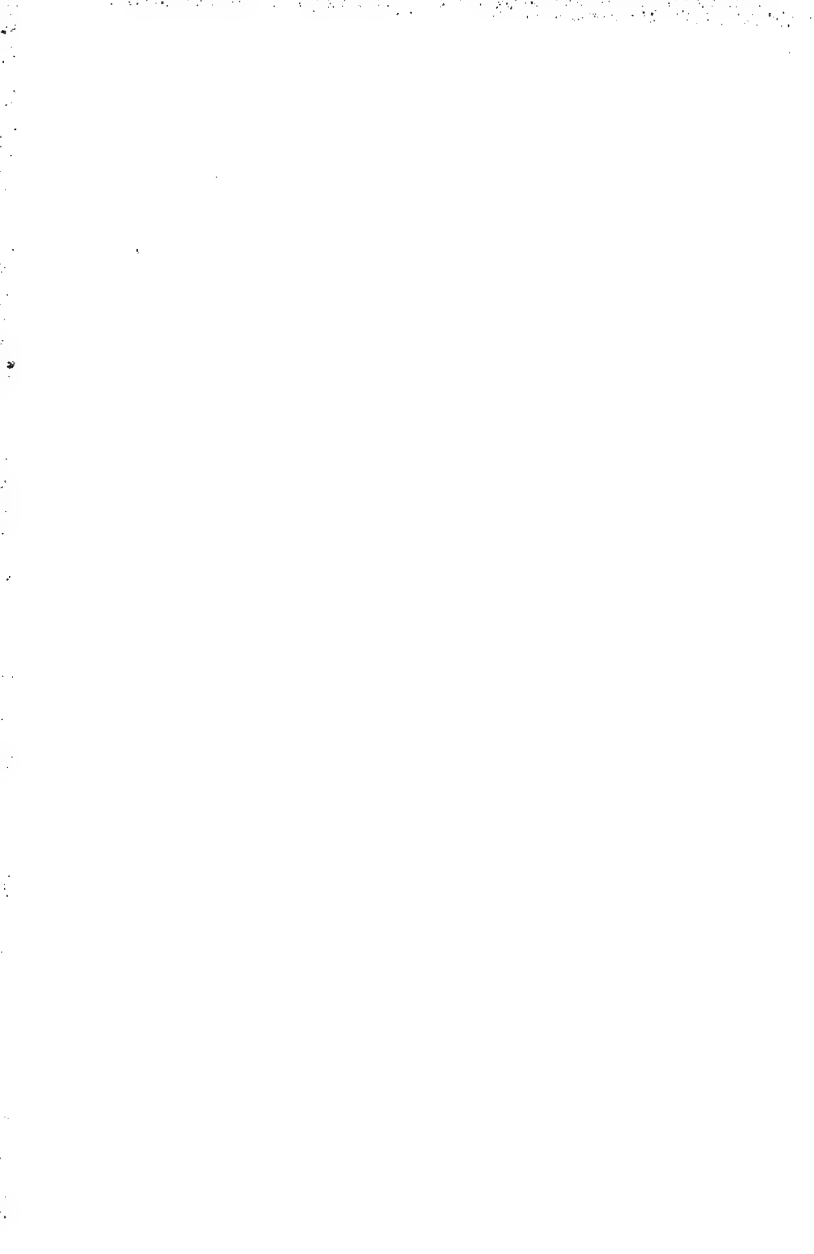
وبـــدأت اسحب ببطء شديد واشعــر في الــوقت نفســه بضغوط الحبل على يدي من شدة ثقل الاخطبوط ومقاومته. الا انني مع ذلـك كنت اتقـدم بضـع خطوات الى الامـام واتــراجع خطوات اخرى الى الخلف في محاولة مني لانهاك قوته. استمر الامر هكذا مدة من الوقت حتى استطعت اخيرا سحبه والقاءه على الصخرة.

كانت جميع اذرعه تتحرك بقوة وهو يحاول الرجوع الى المياه لكنني سحبته بعيدا عن المياه وربطته بالحبل بقوة وانا ادور حوله من دون ان اقترب منه.

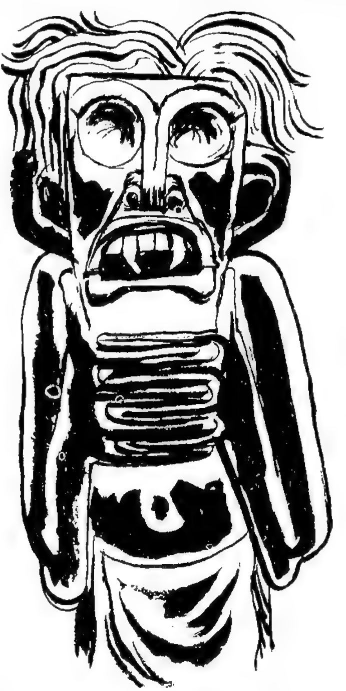
اخذ (رونتو) يقفز هنا وهناك وهو يعوي فرحا ثم هجم على الاخـطبوط واخذ يعضه لكن الاخطبوط الذي كان حيا حتى تلك اللحظة امسك برونتو ولف ذراعه الطويلة على عنق رونتو، تقدمت نحوه وحاولت انقاذ رونتو منه الا انه مد بقية اذرعه وامسك بذراعي واخذ يمتصها بقوة. كان عليّ أن اتخلص منه باليد الاخرى فاخذت أضربه بالسكين على رأسه بقوة حتى سكنت اذرعته وسقط ميتا.

عندما انتهينا منه كانت يداي مليئتين بالجروح والدماء وكانت حصيلة رونتو جرح كبير في جنبه.

شاهدت في ذلك الصيف اخطبوطين كبيرين لكني لم
اقترب منهما ابدا بل حتى انني لم اعرهما أي اهتمام .



الفصل الثامن عشر



بعد تلك المعركة الرهيبة التي دخلتها مع الاخطبوط، عدت الى التقاط القواقع وخاصة الحمراء منها. كنت انظفها جيدا ثم اخزن لحمها في الكوخ . ولحم تلك

القـواقـع بحجم يدي عندما تكون طازجة لكنها ما ان تجف حتى تبدو صغيرة بشكل غير اعتيادي .

عندما كنت اتزود بالماء من النبع كنت اترك رونتو في الكوخ يراقب الطيور التي كانت تأكل القواقع لكن تلك المهمة لم تعجبه وكان ينبح بأستمرار وهو يريد الخروج من الكوخ . واخيرا خطرت لي فكرة فقد ربطت بعض تلك القواقع الفارغة على عمود في طرف الكوخ وجعلت باطنها الصقيل في مواجهة الشمس . وكانت ما ان تتحرك بفعل الهواء حتى تضرب ببعضها وتصدر اصواتا رنانة وتعكس اشعة الشمس الى الارض وهكذا خلصت رونتو من مهمة مراقبة الطيور واخذته معي في جولاتي التالية .

ما ان اصبـح لدي الكفـاية من الطعام حتى اخذنا نذهب كل يوم الى الشاطىء وكرست معظم وقتي في تلك المدة لجمع الحبوب والجذور التي كانت تنبت في الجزيرة .

كنت اذهب في بعض الاحيان الى الكهـف الاسود او الصخرة الكبيرة .

تقـع الصخـرة الكبـيرة على مسـافة فرسخ واحد من الجزيرة وكانت سوداء لامعه بسبب كثرة غربان البحر التي تعيش فيها .

اما الكهف الاسود فقد كان يقع في جنوب الجزيرة قرب مخبأ الزوارق ويحيط به نبات الطحالب من كل جانب. وفي احدى المرات شاهدت نسرا يخرج من ذلك الكهف، ايقظ ذلك النسر فضولي ورغبت اكتشاف المكان الذي يعيش فيه.

كان مدخل الكهف ضيقا مثل ذلك الذي دخلته اول مرة. وبذلنا انا ورنتو جهدا كبيرا للدخول فيه. بعد ان دخلته استطعت تمييز فسحة كبيرة تقع بعد المدخل، كانت جدرانه عالية، ويقع في نهاية مدخل النفق نفق آخر اسود ما ان دخلنا، حتى افضى بنا الى رحبة اخرى، وشاهدت النور يأتي من فتحة في اعلى الجبل.

عندما كنت اراقب ذلك الضوء والظل الذي احدثته بدأ رونتو بالنباح واحدث نباحه صدى عاليا في الكهف وشعرت بالبرودة تسري في جسمي. كانت الاصوات كأنها صادرة عن قطيع هائل من الكلاب.

ـ اسكت.

امرته وسددت له فمه بيدي وتردد صدى كلامي في الكهف اسكت... اسكت... اسكت.

جذفت بقاربي في داخل الكهف وكنت ادخل من

كهف الى آخـر وفي احد هذه الكهوف شاهدت صخرة ناتئة وعليها اشكال غريبة ملتصقة على الجدران. كانت بمثل قامتي لكن اذرعها وأرجلها كانت طويلة وجسمها صغير الحجم. كانت وجوهها خالية من اية ملامح عدا عيونها التي صنعت من الاصداف او القواقع.

وجدت اشياء اخرى في ذلك الركن لكنني لم أتوقف عندها طويلا اذ كان تفكيري قد انصب على باب الخروج الـذي اصبـح ولشـدة دهشتي صغيرا (كنت قد نسيت المد). هكذا حكم عليّ بالبقاء حتى الفجر بأنتظار الجزر.

جذفت نحو الطرف الاقصى من الكهف وتحاشيت النـظر الى عيون تلك الاشكال. وكنت انظر بين الحين والحـين الى المخرج الذي اخذ يختفي شيئا فشيئا نتيجة ارتفـاع المد وكان الزورق يرتفع هو الاخر نحو السقف لكننا لم نصل الى السقف لشدة ارتفاعه. كنت اعرف ان ذلك الهيكل العظمي الموجود بين الاشكال الغريبة يعود لاحد اجدادي القدامى ولكني لا اعرف من هو.

بقيت في الزورق مع رونتو حتى مطلع الفجر عندما اخـذ ماء البحـر ينزل شيئا فشيئا. جذفت نحو المخرج واستطعت الخروج هذه المرة بسهولة . وما ان اصبحت في

الخارج حتى قلت لرونتو:

- اعتقد ان لذلك الكهف اسما في الماضي ولكنني لم اسمع به، سنسميه (الكهف الاسود) ولن نرجع الى هنا ابدا.

اخفيت الزورق عند الصخرة الكبيرة وكانت هذه العملية مجهدة جدا اذ كنت اضطر لسحب الزورق الى الخارج واخفائه بصورة جيدة.

مر ذلك الصيف ايضا من دون ان يظهر الصيادون الاغراب وكنت ماأزال اتذكر المرة الاخيرة التي رأيتهم فيها حينما كنت واقفة على هذه الصخرة نفسها.

كنت واقفة اليوم كما هي عادتي على الصخرة أتامل البحر، فشاهدت بعض الغيوم تسبح عند افق البحر. كانت واحدة من هذه الغيوم اكبر من البقية وتتحرك اسرع. عندما دققت النظر في البحر اكتشفت ان تلك الغيمة لم تكن سوى قارب بأشرعة بيض.

وتساءلت فيما اذا كان هذه الزورق للاغراب ام للرجال البيض، لكني تذكرت ان قوارب الرجال البيض جاءت من الشرق اما هذا الزورق فكان يبحر من جهة الشمال.

اتخذت قراري حتى قبل ان اعرف هوية الزورق.

جمعت كل مالدي وعزمت على الذهاب الى الكهف لكن العملية لم تكن سهلة اذ تطلب مني الامـر القيام بعـدّة جولات بين الاكواخ والكهف لنقل ما كنت احتاجه. وفي النهاية رجعت الى الاعلى واخذت اراقب بحذر ما يمكن ان يحدث.

كانت الخيوط الذهبية الاخيرة للشمس تكاد لا تصل الينا ومع ذلك استطعت ان اميز لون السفينة الاحمر.

كنت اعـرف ان الاغـراب لن ينـزلوا الى البحر عند حلول الظلام الامر الذي يعني المزيد من الوقت لحمل بقية الاشياء الضرورية الى الكهف. بدأ الأغراب بأنزال حمولاتهم عند الفجر وقامت عدة زوارق بنقل البضاعة الى الشـاطىء في الـوقت الـذي نزل بقية الـرجـال الى الشاطىء واخذوا بقتل العجول من دون اضاعة الوقت.

لم يكن دخولي الكهف سهلا هذه المرة فقد عانيت كثيرا من رفض رونتو الدخول اليه لكنني وما ان اصبحت في الداخل حتى تملكني النعاس من شدة التعب ومن شدة الظلام في داخل الكهف.

الفصل التاسع عشر



لم آخذ رونتو معي عند خروجي من الكهف تلك الليلة. سددت مخرج الكهف كي لا يتبعني وكنت اخاف ان يكون الاغراب قد جلبوا معهم بعض الكلاب

فيسمع رونتو نباحهم وعندها سيكتشف مكاني بسبب نباح رونتو.

كان باستطاعتي حتى قبل ان اصل الى اعلى الصخرة مشاهدة نيران مخيمهم الذي ضربوه في الهضبة القريبة من النبع اي في المكان القديم نفسه فهو يبعد نصف فرسخ عن مكان زورقي .

بقيت هناك مدة طويلة وانا اراقب نيرانهم واتساءل اما كان من الافضل الانتقال الى الطرف الاخر من الجزيرة ، او ربما النزول الى الكهف مع رونتو. ولم يكن خوفي من ان اكتشف من قبل الرجال لأنهم سيكونون منشغلين بالصيد وسلخ جلود الحيوانات . ولكن قلقي كان بسبب الفتاة التي حضرت معهم . اذ انها ستكتشف وجودي اثناء تجوالها في الجزيرة او عند بحثها عن الحبوب او القواقع .

بقيت مختبئة في اعلى الصخرة حتى خبت نيران الاغراب وكنت في غضون تلك المدة افكر فيما استطيع عمله واستعرض في ذهني كل الامكنة التي تصلح مخبأ جيدا لي . فالطرف الاخر من الجزيرة سيكون بعيدا جدا عن مكان مياه الشرب وعن زورقي .

عدت الى الكهف ولم اخرج منه الا عندما حل الليل. كان القمر بدرا واستطعت العودة الى كوخي واكتشفت ان حاجز الكوخ قد نقص ثلاثة اضلاع ولكني عرفت ان لا احد هناك لان رونتو استمر في مسيره دون نباح. دخلت الى الكوخ وملأت سلتي بالطعام وخرجت قبل حلول النهار وتوجهت الى الكهف.

وفي الايام التالية لم اشاهد الاغراب على الرغم من انني عثرت على بعض اثارهم في المنطقة التي كنت فيها ويبدو ان الاغراب لم يجلبوا كلابهم معهم هذه المرّة.

امضيت ليلة تعيسة بسبب القلق الذي انتاب رونتو وهو يروح ويأتي في الكهف في محاولة للخروج من الكهف.

كان الظلام حالكا في الكهف وكنت اضطر الى ايقاد المشاعل من دهن السمك الذي احتفظت به وكنت اشغل وقتي في بعض الاحيان بخياطة ثوبي والتحدث مع رونتو:

ـ لو لم تكن كلباً لصنعت لك ثوبا مثله.

وحتى تلك اللحظة لم اكن قد شاهدت فيها ثوبي على ضوء النهار ولهذا فقد خرجت من الكهف وجلست عند الباب اتأمل الثوب باعجاب، وفي تلك اللحظة انتصب

رونتـو بسرعة واخذ يصغي بأنتباه ، وبعد قليل سمعت
وقـع خطوات تقترب مني . كان الصوت قادماً من جهة
النبـع ولم تكن هذه الخـطوات لتبعد عني كثيرا . هممت
بالـدخول الى الكهف لكني رأيت فتاة واقفة عند زاوية
الصخرة وهي تنظر الى رونتو. تهيأت للدفاع عن نفسي
ورفعت رمحي عاليا لقـذ فهـابه الا اني ترددت ولست
ادري لماذا .

تلفظت الفتاة بضع كلمات غريبة جعلت رونتو يقترب
منها وتوقعت أنه يهجم عليها ويمزقها اربا الا انه وقف الى
جانبها واخذ يهز ذيله بينما راحت تداعبه بحنان .

اشرت الفتاة بيديها وكأنها تقول ان الكلب ملكها .
صرخت بقوة وحركت راسي بغضب وهددتها برمحي .

ـ كلا .

تراجعت الفتاة واعتقدت انها ستهرب لكنها حركت
يدها وافهمتني ان الكلب هو ملكي . لكنني لم اثق بها
وتهيأت لاطلاق رمحي لكنها اشارت الى نفسها وقالت :

ـ توتوك .

لم اقـل لها اسمي . صرخت على رونتـو وطلبت منـه
التقرب مني فأطاعني .

نظرت الفتاة اليّ ثم الى الكلب وابتسمت.

كانت الفتاة اكبر مني لكنها لم تكن اطول. كان وجهها عريضا وعيناها سوداوين صغيرتين وعندما ابتسمت كشفت عن اسنان لامعة بيضاء. وتذكرت في تلك اللحظة اني كنت مازال اشهر رمحي بيدي. وكان ثوبي مايزال بيدي الاخرى.

انزلت يدي وعندها اقتربت الفتاة مني ولمست الثوب وقالت:

ـ ونتشا (وتعني جميل).

لم اقل اية كلمة لكنني عرفت انها كانت تريد اخذ الثوب لرؤيته.

كانت ملامحها لطيفة وشجعني هذا على اعطائها الثوب. لكني تذكرت كرهي للاغراب فأخذته منها.

قالت مرة اخرى:

ـ ونتشا.

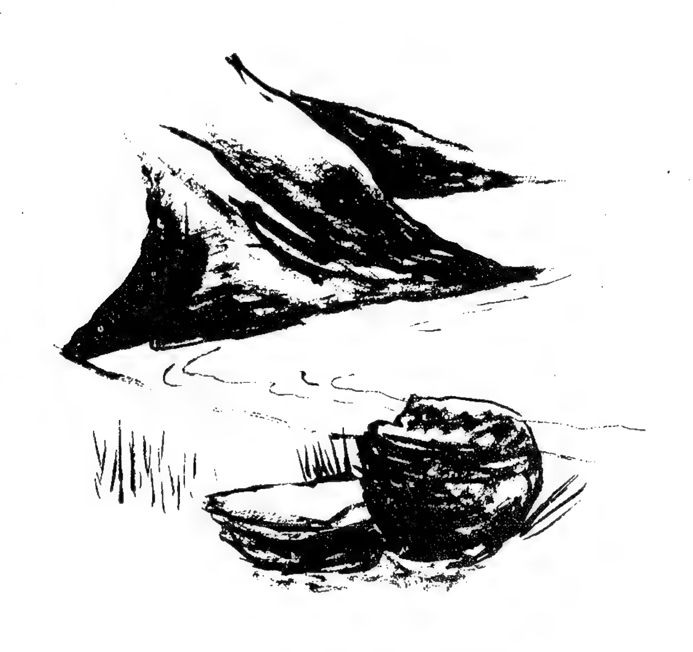
مضى وقت طويل لم اسمع فيه اية كلمة من بشر واحدثت هذه الكلمات فيّ شعورا غريبا تلفظت الفتاة بعبارات اخرى لكنني لم افهم شيئا منها. كانت تتحدث وتنظر الى الكهف تارة وتارة اخرى كانت تنظر الي.

وفهمت منها انها كانت تريد اشعال النار لكي تتدفأ وتريد معرفة اذا كنت اعيش دائما في الكهف. استمرت تنظر الي من دون ان تتفوه بأية كلمة واقتربت بعد ذلك ولمست كتفي وقالت شيئا ما لم افهمه ثم غادرت المكان واختفت من دون ان يحاول رونتو ان يتبعها.

اسرعت الى الكهف واخذت كل ماهو ضروري لي من طعام وسلاح وبدأت بالبحث عن مخبأ اخر اكثر امانا. وكان عليّ ان انهي هذه المهمة قبل حلول الليل. والمكان الذي اخترته لم يكن بعيدا عن الاغراب لكني متأكدة من عدم حضور اي شخص الى تلك المنطقة. وعندما كنت أقوم بعملي بنقل أمتعتي بين مكاني الجديد والكهف تولد لدي انطباع ان شخصا ما قد زار الكهف وانه قد يكون مختبئا في الداخل.

ارتعبت ولم ادخل الكهف. وعندما استدرت للرجوع شاهدت قلادة مصنوعة من حجر اسود جميل لم اشاهد مثلها من قبل معلقة على باب الكهف.

الفصل العشرون



لم ادخل ولم المس القلادة .

نمت في تلك الليلة على الصخرة العالية بجانب سلالي التي اخرجتها من الكهف وعند الصباح اختبأت بحيث

استطيع مراقبة الكهف من دون ان يشاهدني احد.

عندما اشرقت الشمس كان باستطاعتي رؤية القلادة معلقة على باب الكهف وكانت لدي رغبة شديدة بالنزول الى هناك واخذ القلادة الا اني لم افعل هذا.

مكثت هناك كل الصباح من دون ان اشاهد احدا.

وعندما اصبحت الشمس في منتصف السماء نبح رونتو عند سماعه بعض الخطوات وهي تقترب منا. وعندها شاهدت الفتاة وهي تقترب من الكهف لكنها توقفت عندما شاهدت القلادة في المكان نفسه.

لمست القلادة ثم ارجعتها الى مكانها واطلت برأسها الى داخل الكهف ثم توجهت نحو النبع واخذت تشرب منه.

قفزت من مكاني واخذت اصيح وانا انزل..

توتوك! توتوك!

ـ اختفت الفتاة من مكانها بسرعة الا اني اسرعت الى باب الكهف والتقطت القلادة ولبستها وانا اناديها بأسمها. كانت قلادة جميلة.

وعندما خرجت الفتاة من مكانها، اقتربت مني وقالت:

ـ ونتشا .

اجبتها وانا اشعر ان تلك الكلمة كانت غريبة عني

ـ ونتشت

لكني قلت لها بلغتي كلمة (جميلة) ـ ون ثاني .

لمست قلادتي وقالت بلغتها كلمة جميل ورددت لها بلغتي الكلمة نفسها .

اخذنا نتبادل الكلمات بلغتي ولغتها : النبع ، الكهف ، طائر النورس ، السماء . . . الخ .

جلسنا على حافة الصخرة قرب الكهف وبقينا على هذه الحال حتى مغيب الشمس وعندها نهضت توتوك وعملت اشارة ما عرفت انها ارادت ان تودعني .

ـ ماه ناي ، قالت ثم انتظرت قليلا لكي تسمع اسمي . اجبتها .

ـ ون آبالي . وهي تعني كما قلت لكم «الفتاة ذات الشعر الاسود الطويل» . ولم ارد ان افصح لها عن اسمي السري .

ـ ماه ناي ، ون آبالي . رددت الفتاة .

عندها اختفت بين الصخور وكنت مازال اسمع وقع خطواتها التي اخذت تختفي تدريجيا .

وفي اليوم التالي عادت توتوك وجلسنا على الصخرة من غير ان نتبادل اية كلمة. وما ان حل موعد ذهابها حتى نهضت من دون ان تقول شيئا. وفي اليوم الاخر وعندما ازف موعد ذهابها الى المخيم قلت لها اسمي السري وانا اشير الى نفسي.

ـ كارانا.

رددت هي نفس الكلمة دون ان تفهم ما كنت اريد قوله لكنها قالت باصرار.

ـ ون آبالي.

هززت رأسي وقلت لها.

ـ كارانا.

كرست كل وقتي تلك الليلة لعمل هدية لها ردا على هديتها. فكرت ان أصنع لها قرطين لكني تذكرت ان اذنيها لم تكن مثقوبتين مثلنا ولهذا فقد عكفت على صنع قلادة صغيرة لشعرها الطويل. قضيت خمس ليال في صنع تلك القلادة واستعملت اصداف المحار والقواقع وعظم الحوت مادة لقلادتي هذه.

وعندما حضرت الفتاة وضعت لها القلادة في شعرها وقالت هي بفرح وهي تعانقني:

ـ ونتشا .

كانت توتوك تحضر كل يوم الى الكهف وفي يوم من الايام تغيبت توتوك واضطرزت انا الى مغادرة مكاني خوفا من حضـــور الاغـراب وقضيت الليل بكـامله في اعـلى الصخرة وانا ارتجف بردا .

لم تعد الفتاة في اليوم التالي وعندها تذكرت ان فصل الصيد كان يوشك ان ينتهي وانهم ربما كانوا قد انتهوا في ذلك الحين .

وعندها قررت ان أتوجه الى الصخرة التي تطل على السـاحـل . عنـدمـا وصلت الى هناك شاهدت السفينة ماتـزال راسية في مكـانها والرجال يعملون بهمة في نقل الجلود الى السفينة .

رجعت في الليل الى الكهف واشعلت النار واخذت اطهو طعاما لي ولرنتو ولتوتوك لانني كنت اعرف انها كانت ستعود مرة اخرى .

نبح رونتو واعتقدت اني سمعت خطوات تقترب مني وتـوقعت دخـول توتوك الا انها لم تظهر . كانت الرياح تعصف في الخـــارج ولهـــذا قررت سد مدخـل الكهف بالصخور بعد ان مللت الانتظار .

عندما بزغ الفجر ذهبت الى الصخرة العالية وكانت الرياح قد هدأت والبحر مغلفاً بغيمة كبيرة. انتظرت مدة قصيرة الى ان انقشعت الغيمة وسطعت اشعة الشمس القوية على الجزيرة وعندها اكتشفت ان السفينة كانت قد غادرت المكان وكان الساحل مهجورا تماما.

شعرت بوحشة الجزيرة مرة اخرى بعد مغادرة توتوك.

الفصل الحادي والعشرون

ترك الاغـراب عددا من عجول البحر الجريحة على الساحل ، وكانت بعض هذه العجول قد ماتت وطفت في البحر واضطررت لرمي البعض الاخر منها بسهامي كي

اخلصها من الامها الشديدة. لكنني وجدت عجل بحر صغيراً جداً كان مايزال حياً.

توجهت اليه بزورقي وحملته بلطف كي لا أؤذيه من ذلك الجَرح الكبير الذي كان في ظهره ولم يحاول هو الهرب مني بل استكان وقبع في باطن الزورق بصمت. عندما وصلت الى الشاطىء قطعت بعض نبات الطحالب التي كانت ملتفة حول جسمه ووضعته في ثغرة كبيرة بين الصخور التي تقع على البحر.

امضيت معظم وقتي بصيد السمك كي اطعم عجل البحر الصغير وكنت اعرف أنه لايأكل الأسماك الميتة. ولم احاول علاجها بالاعشاب اذ ان مياه البحر المالحة كانت كفيلة بعلاجها.

اخذت جروح عجل البحر الصغير تلتئم بسرعة وازدادت شهيته للاكل وبدأ يأكل اربع اسماك يومياً. كنت اراقبة وهو يسبح في ذلك المكان الذي تركته فيه عندما كان جريحاً وكان بأستطاعته الخروج والرجوع الى البحر لكنه لم يكن يفعل هذا بل كان يفضل البقاء في تلك المياه الضحلة بين الصخور.

نما ذلك الحيوان واصبح بطول ذراعي وطال انفه

واصبح مدببا ونمت له شوارب صغيرة. وكنت اراقبه بفرح وهو يلعب ويتبعني اينما ذهبت. وكنت في كل تلك المدة اسميه (عجل البحر) لكنني قررت ان اسميه (مون اني) التي تعني (الفتى الصغير ذو العيون الكبيرة).

اصبحت عملية صيد الاسماك له صعبة بعد ان كبر وعندما بدأت الرياح تهب وكنت في بعض الاحيان لا اصطاد سوى سمكتين صغيرتين لا تكفيان لسد رمقه.

مرت ثلاثة ايام لم استطع في أثنائها من الذهاب الى هناك بسبب الرياح العالية وفي اليوم الرابع ذهبت الى مون اني واكتشفت انه كان قد اختفى.

كنت قد رجعت الى مكاني القديم بعد رحيل الاغراب وعملت بجد في ترتيب اوضاع كوخي. وكان قلقي ينصب على كمية الغذاء التي يجب ان اوفرها للموسم القادم اذ انني كنت قد اضعت معظم مؤونتي في اثناء هجري الكوخ.

لم تكن مسألة الصيد صعبة بعد ان غادر مون اني وكان بأستطاعتي الصيد واللعب مع رونتو وتجفيف الزائد عن حاجتي.

وبالتأكيد لم اكن قادرة على صيد الاسماك عندما كان

الاغراب في الجزيرة. اما الان فقد اصبح لدي متسع من الوقت للقيام بكل شيء.

الفصل الثاني والعشرون



حلَّ الربيع مرة اخرى في الجزيرة وعادت تلك الزهور الجميلة وتحـولت الـروابي المطلة على البحر الى خضراء اللون. عادت الطيور التي صنعت اعشاشها قبل ذلك في

كوخي الى المكان نفسه. وكانت تلك الطيور والعصافير تنـطلق بسرعة من اعشاشها وتهبط بسرعة لتنقر (رونتو) كلما حاول التقرب من اعشاشها. وبالطبع لم تكن المسألة لتعجب (رونتو) مطلقا.

وفي احد الايام وجدت طائر نورس وقد سقط مع عشه الى الساحل. كانت طيور النورس تبني اعشاشها في أعالي الصخور المطلة على البحر ومع انها كانت اعشاشاً صغيرة الا انها لم تكن تسقط الا نادرا.

حملت ذلك الطائر الابيض الى كوخي وعالجت ساقه الصغيرة المكسورة ولم يحاول الطائر الطيران مدة من الـزمن ولما كان صغيرا ولم يتعلم الطيران جيدا فقد اخذ يمشي في انحاء الكوخ وهو يعرج بطريقة مضحكة.

وبـالعصفـورين الصغـيرين اللذين ولـدا في الكوخ اضـافة الى رونتو وطائر النورس بدا المكان وكانه يطفح بالسعـادة ولولا ذكرى توتوك وتساؤلاتي عن مكان اختي (اولابة) ومصيرها لكنت اشعر الآن بسعادة اعمق.

بدأت بالتقاط وجمع المحار والقواقع منذ بداية الربيع وحاولت تجفيف اكبر قدر ممكن من الطعام خوفا من عودة الصيادين الاغراب.

وفي احد الايام وبينما كنت اجمع المحار عند الصخور رأيت قطيعا من عجول البحر عند الصخور . كانت تلعب مع بعضها وتغوص تحت الماء وتظهر من الجانب الاخر من الصخور. كانت وكأنها تلعب لعبة الاستغماية التي كنا نلعبها عندما كنا صغارا .

اخذت ابحث عن (مون اني) لكني لم اجده فكل عجول البحر كانت متشابهة الشكل .

ملأت زورقي بالمحار وبدأت اجذف نحو الشاطىء لكني اكتشفت ان احد عجول البحر اخذ يتبع زورقي . كان يتوقف حينما اتوقف عن التجذيف ويتحرك عندما يبدأ الزورق بالمسير.

لم استطع في بداية االامر تميز (مون آني) عن البقية . لكني واثقة الآن ان هذا الحيوان الذي يتبعني هو مون آني بعينه لذلك القيت له باحدى الاسماك فالتقطها بسرعة .

لم اشاهد عجل البحر هذا في الايام التالية لكنني شاهدته في صباح احد الايام يتقدم الى الشاطىء ويتبعه عجلان صغيران جدا لم يزد حجمهما عن حجم الجراء الصغيرة .

وما ان شاهدتهما حتى القيت اليهما بالاسماك وكان

(مـون آني) يلتقط هذه الاسـماك ويأكلهـا تارة ويدعها لصغاره تارة اخرى.

وكان يبدو وكأنه يعلمها ما يجب ان تفعله . وعندها عرفت ان مو آني هي امهم.

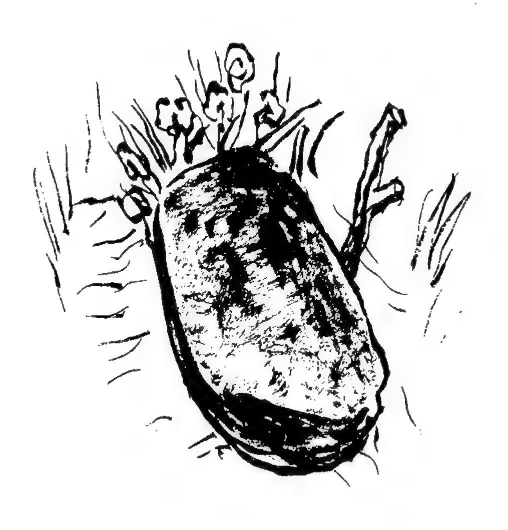
نظرت الى العـائلة التي كانت تسبـح بسعـادة قرب الصخور وقلت لعجل البحر.

ـ مون آني ساغير اسمك واجعله (ون آني) لأنه يعني (الفتاة صاحبة العيون الكبيرة).

بعد ذلك الصيف الجميل وصداقتي الرائعة مع عجول البحر قررت ان لا اقتل اي حيوان ولا اصطاد اي غراب من اجل ريشه ولا اية فقمة من اجل جلودها بل حتى اني قررت ترك الكلاب لحالها.

لو كانت اختي (اولابـة) هنا لضحكت من تصرفاتي ولهزأ ابي مني لكنني اخذت اشعر بعمق تلك العلاقة التي تولدت بيني وبين تلك الحيوانات حتى انها تغيرت بالنسبة لي واصبحت كالبشر فقد كانت كل عالمي الذي يحيط بي.

الفصل الثالث والعشرون



لم يرجع الاغراب ابدا الى الجزيرة لكنني مع ذلك استمريت بمراقبة الشاطىء كل يوم . وعندما حلّ فصل الربيع عدت لالتقاط المحار والقواقع وتجفيفها تحت

الشمس.

بعد مرور صيفين من وصول الأغراب الى الجزيرة اصبح لدي مزيد من الاسلحة خبأتها في الكهف الذي يقع تحت الصخرة التي اعيش عليها. وبهذه الطريقة كنت استطيع الانتقال من مكان الى مكان من دون ان اخرج الى العراء.

وبعد تلك المذابح التي ارتكبها الاغراب انتقلت عجول البحر الى منطقة اخرى. فلما ان اقترب موسم الصيف هذا اتجهت الى مكان اخر اكثر امانا.

كنا غالبا ماندهب الى الصخرة الكبيرة لنمضي هناك عدة ايام ونصطاد السمك لـ (ون آني) وبعض اصدقائها. ولكن حدث ان انقطعت عجول البحر عن المجيء الى تلك الصخرة في الصيف الذي مات فيه (رونتو). واعتقدت انها فعلت هذا لان جميع الذين يتذكرون المذابح كانوا قد ماتوا.

وكنت انا ايضا قد انقطعت عن التفكير بهم وبالاغراب وبالرجال البيض. وحتى هذا الصيف كنت اعد الايام التي مرت علي منذ وجودي في الجزيرة مع اخي. وكنت اخط خطاً على عمود قريب من مخبيء عن

كل ليلة تنقضي. واصبح لدي خطوط كثيرة جدا. ولكنني تركت هذه العملية بعد هذا الصيف لان الزمن اصبح شيئا ثانويا بالنسبة لي.واخذت بدل هذا أُأَشِّر الفصول الاربعة.وحتى هذه العملية تركتها في السنوات الاخيرة.

كان رونتو قد مات في نهاية هذا الصيف.

فمنذ مدة من الزمن لم يعد (رونتو) يتبعني في تجوالي وكان يفضل الجلوس في الشمس على النزول معي.

مازلت اتذكر اليوم الذي انتصب فيه (رونتو) واخذ ينبح لكي ادعه يخرج من الكوخ. وكان غالبا ما يفعل هذا الشيء في الايام المقمرة ويعود في اليوم التالي. لكنه خرج هذه المرة ولم يعد. انتظرته اليوم كله من دون جدوى. وعندها قررت البحث عنه.تتبعت خطاه حتى الربوة ومن ثم الى المكان الذي كان يعيش فيه سابقا.اعتقدت في البداية انه جريح لكني وجدته سليماً، لطع يدي ثم سكنت حركته. ولما كان الليل قد هبط وساد الظلام فقد كان من المستحيل عليّ حمل (رونتو) معي الى البيت. ولهذا فضلت البقاء معه في الكهف. كنت جالسة الى جانبه احدثه من دون انقطاع وعندما طلع الفجر حملته

وخرجت من الكهف. كان خفيفاً كما لو ان شيئا ما قد غادر جسمه.

كانت الشمس في كبد السماء عندما مررنا بالقرب من وهدة الشاطىء واحدثت طيور النورس ضجيجا عاليا عندما مررنا من هناك، رفع (رونتو) اذنه قليلا عند سماعه اصوات الطيور. وعندها وضعته على الارض واعتقدت انه كان يريد النباح عليها والجري وراءها حسب ما اعتاد عليه. وبالفعل رفع رأسه واخذت نظراته تتبع الطيور لكنه لم يصدر اي صوت. قلت له:

- رونتو. لقد كان النباح على طيور النورس يعجبك وكنت تفعل هذا صباحاً ومساء. افعل هذا من اجلي.

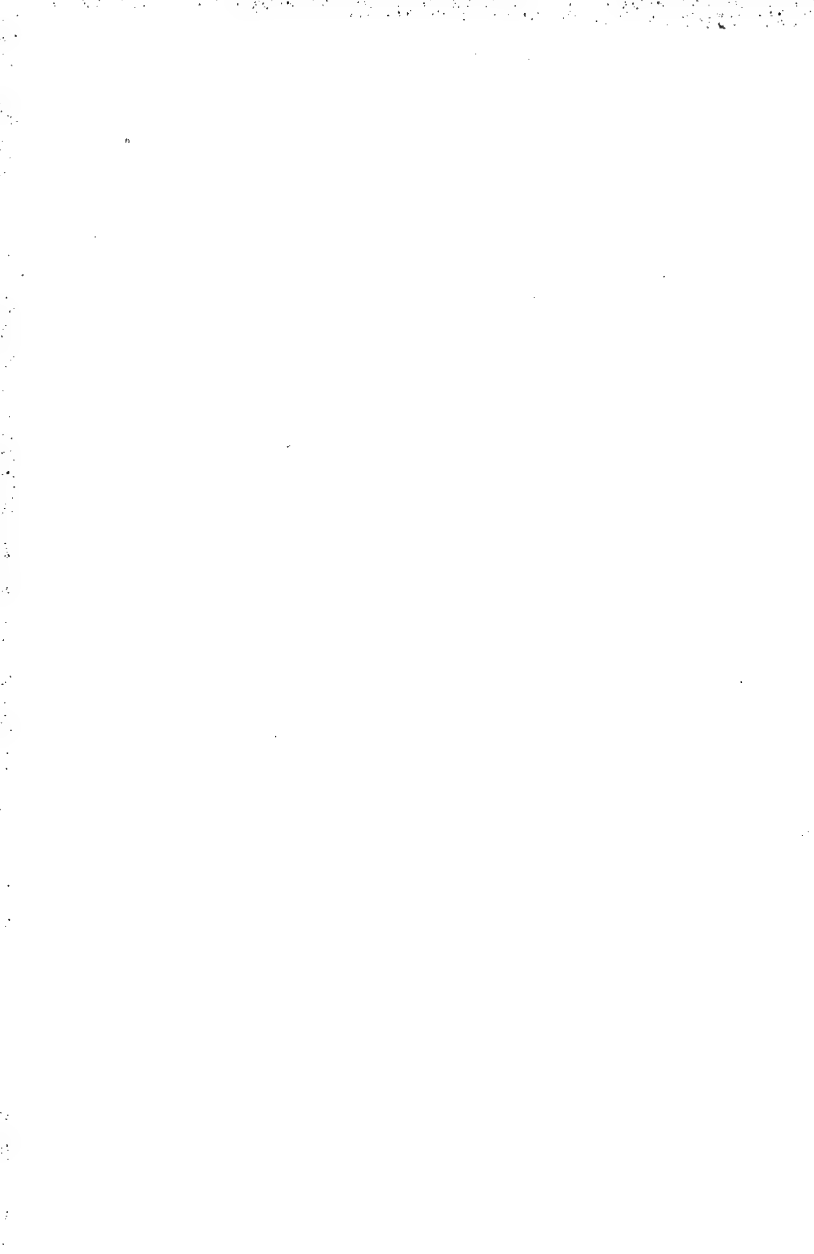
لكنه لم ينظر اليها وبحركة بطيئة تقدم حيث كنت وسقط عند قدمي. وضعت يدي على صدره وشعرت بضربات قلبه الضعيفة.

كان يتنفس بصعوبة وبدا صدره يعلو ويهبط مثل الامواج الاخيرة التي تغادر الشاطىء. واخيرا توقف قلبه عن الخفقان.

صرخت بأعلى صوتي:

- رونتو! رونتو!

دفنت رونتو في اعلى الصخرة وزرعت بعض الزهور
على قبره وغـرست العصا التي كان يحبها كثيرا ويجري
لالتقاطها عندما كنت ارميها اليه عند حافة القبر.



الفصل الرابع والعشرون



لم اذهب طوال فصل الشتاء بعد موت رونتو الى وهدة الشاطىء وكنت آكل من مخزوني من الطعام ولا اخرج إلّا لجلب الماء.كان شتاءً قاسياً مليئاً بالعواصف والامطار

والامواج العالية التي كانت تتلاطم على صخور الساحل.

اتذكر اني رأيت في اثناء الصيف الماضي عندما كنت امشي في الطريق المؤدي الى عجول البحر كلباً يشبه رونتو الى حد كبير. كان يمشي بكبرياء وسط قطيع الكلاب المفترسة.وعلى الرغم من انني القيت نظرة سريعة عليه الا انني كنت واثقة من انه كان ابن رونتو . كانت خطواته انيقة مثل خطوات رونتو.

خطّطت للامساك به في الربيع القادم بفضل المصائد التي تعلمت صنعها في السنوات الماضية، خاصة وان الكلاب كانت تتجول في ذلك الشتاء في منطقتي لانها كانت تعلم ان (رونتو) لا يعيش معي بعد الان . اخذت بنصب الفخاخ بعد انتهاء فصل العواصف واستطعت صيد بعض هذه الكلاب الا ان طريدتي لم تكن من بينها، وكنت اطلق سراحها لانني كنت اخاف ان اربيها في بيتي .

ذهبت كل محاولاتي عبثا لصيد الكلب وكنت اوشك أن اتخلى عن محاولاتي عندما تذكرت نوعا معينا من الاعشاب كانت قبيلتنا تستعمله لصيد الاسماك ، ولم تكن

تلك الاعشـاب سامة لكنها كانت كافية لجعل الاسماك تطفو على سطح الماء بعد مدة قصيرة.

قطعت هذه الاعشاب والقيتها في النبع الذي اعتادت ان تشرب منه الكلاب وبعد ان حضرت وشربت الماء لم يحدث شيءٌ لها لكنها اخذت تقفز قفزات غريبة بعض الشيء ثم توارت عن انظاري.

قررت تجربة نوع اخر من الاعشاب هذه المرة. ولهذا وبعد ان القيتها كما فعلت في المرة الاولى في الماء اختبأت قرب النبع وانتظرت مجيء الكلاب. ولما حضرت وكانت طريدتي معهم اخـذت تشرب المـاء كعادتها. وبعد مدة قصـيرة رأيت ان الكـلاب هدأت ونـام البعض منهـا. خرجت من مخبيء واقتربت دون خوف منها وشاهدت ذلـك الكلب نائـما. حملته على كتفي واسرعت به الى البيت وانا سعيدة وبينما كان الكلب نائما في الكوخ اخذت افكر بالاسم الذي سأطلقه عليه واخترت بعد مدة اسما له وهو (رونتو أرو).

اصبـح الكلب صديقي بسرعة. والواقع انه لم يكن كبـيرا مثـل ابيه لكنه كان يحمل كل مواصفات (رونتو) بحيث اني احيانا كنت انسى انه كان ابنه بل انه رونتو

نفسه .

مع اني امضيت مدة رائعة في ذلك الصيف معا وكنا نذهب الى الساحل والى الصخرة الكبيرة الا اني لم أنسَ اخي واختي اولابة وتوتوك وكان يخيل الي في بعض المرات اني كنت اسمع. اصواتهم مختلطة بأصوات الريح او اصوات تلاطم الامواج.

الفصل الخامس والعشرون



ساد السكون والهدوء على الجزيرة بعد عواصف هوجاء استمرت طيلة فصل الشتاء تقريبا ، لكن الجو كان خانقا والغيوم الكثيفة كانت تحجب اشعة الشمس واصبح من

المستحيل النظر الى مسافة بعيدة في البحر.

وفي احد الايام ركبت زورقي واخذت أطوف به حول شريط الصخور وكان الجوحارا. لم آخذ (رونتو) معي لانني كنت اعرف انه كان يفضل البرودة على الحرارة العالية. كان السكون مخيما على البحر ولم اشاهد احدا في البحر. فطيور النورس فضلت البقاء في اعشاشها من دون ان اعرف لماذا.واستلقت كلاب البحر على الصخور بعيدا عني.بل حتى السرطانات التي كانت تدب على الرمل اختفت كلها. وبعد مدة شعرت ان اشعة الشمس اخذت تحرق رأسي ففضلت الرجوع الى الكوخ.

عندما وصلت الى الشاطىء احرقت الرمال الحارة قدمي وبذلت جهدا كبيرا لسحب الزورق بعيدا عن الشاطىء، ثم صعدت الى الكوخ ونمت.

ماكدت استغرق في النوم حتى استيقظت على صوت دويّ كبير. نظرت من مكاني الى السماء لكنني لم اشاهد اية غيمة . كانت السماء صافية. كان ذلك الصوت قادما من جهة الجنوب.

نهضت بسرعة ونظرت الى صوب الجنوب ورأيت ان البحر كان في حالة جزر لكني لم اشاهده بمثل هذه الحالة

من الجزر. بدت المنطقة التي انحسر عنها ماء البر وكأنها
جزيرة اخرى وفجأة اصبح الجو على حين غفلة خانقا
وبدأت اسمع من جديد تلك الاصوات التي كانت تصم
الاذان. وفي تلك اللحظة شاهدت كتلة بيضاء تتحرك
ببطء بين السماء وأُفق الماء وهي تتقدم نحو الجزيرة.
ركضت بسرعة وانا مرتعبة من دون ان اعرف اين اتوجه
وكنت اشعر ان الارض اخذت تميد بي وان جسمي
اصبح كله مغطى بنبات الطحالب الذي اخذ يتطاير من
البحر نحو الجزيرة بقوة.

استطعت ان اتجاوز المنحنى ووصلت الى الصخرة
الكبيرة. تسلقت الرابية بسرعة ولم يكن لدي وقت اضيعه
فقد كانت تلك الموجة الكبيرة قد اخذت بالتقدم بسرعة
نحو الجزيرة. ولكن لحسن حظي وجدت ثغرة صغيرة في
الصخرة وضعت فيها قدمي وتمسكت بقوة بالصخور
حتى اصبحت جزءا من جدار الصخرة نفسها وعندها مرت
تلك الموجة العاتية من تحت قدمي ثم قذفتني بعد ذلك
الى اعلى الصخرة. وما ان مرت تلك الموجة رجعت مياه
البحر الى الخلف بحثا عن مكانها القديم لكني شاهدت
موجة اخرى تتقدم الى الامام تتبعها موجة اخرى وتخيلت

لحظتها ان البحر سينقلب رأسا على عقب.

فالموجة الضخمة الاولى كانت تحاول الوصول الى الساحل في حين كانت الموجة الثانية تريد اللحاق بها وبالفعل وقبل ان تصلا الى الساحل ارتطما ببعضهما مثل وحشين كبيرين.. وبعد قليل غطت مياه العاصفة كل ثغرة وكل مكان في المنطقة واسرعت نحوي وحاولت ان تسحبني من مكاني الا اني تشبثت في مكاني بقوة الى ان مرت كلها من فوق جسدي.

ساد سكون رهيب على الجزيرة واستطعت في تلك اللحظة سماع دقات قلبي التي اعلنت أني كنت ماأزال حية.

عندما حلّ الليل كنت خائفة من مغادرة مكاني اذ كان يبدو مستحيلا عليّ العثور على كوخي في الظلمة وسط الدمار الذي خلفته العاصفة ولهذا فقد هبطت الى الساحل ونمت هناك.

عندما افقت كان اليوم هادئاً ووجدت الساحل مليئا بالطحالب والاسماك والسرطانات البحرية وحيوانات اخرى لم اشاهدها من قبل كلها كانت ميتة. ووجدت رونتو ارو واقفا الى جانبي يحملق فيَّ. سحبت نفسي

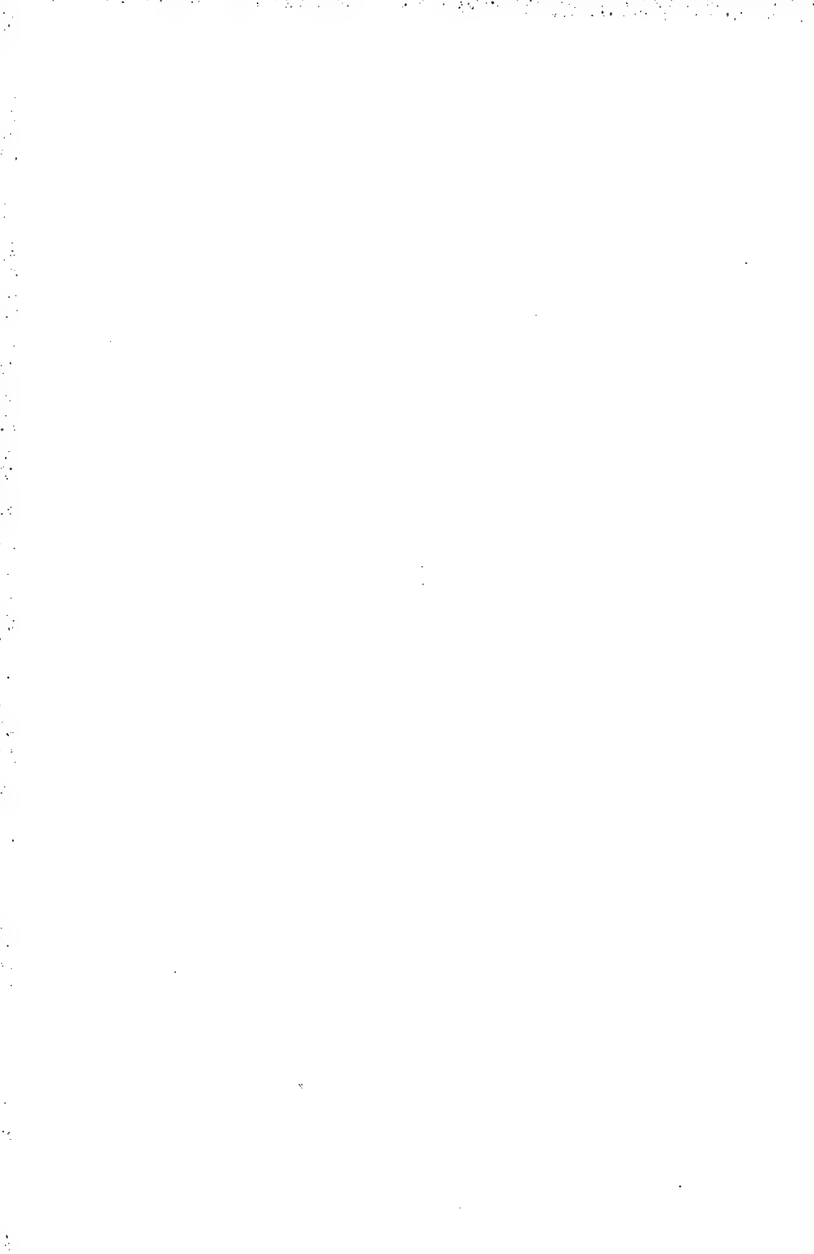
بصعوبة وصعدت الى الكوخ ونمت اليوم كله من شدة تعبي .

في الصباح خرجت من الكوخ وذهبت لجلب الماء وتبعني رونتو ارو.وعندما وصلت الى هناك القيت نظرة على البحر فوجدته ساكنا وكانت الطيور ماتزال مختبئة في اعشاشها .

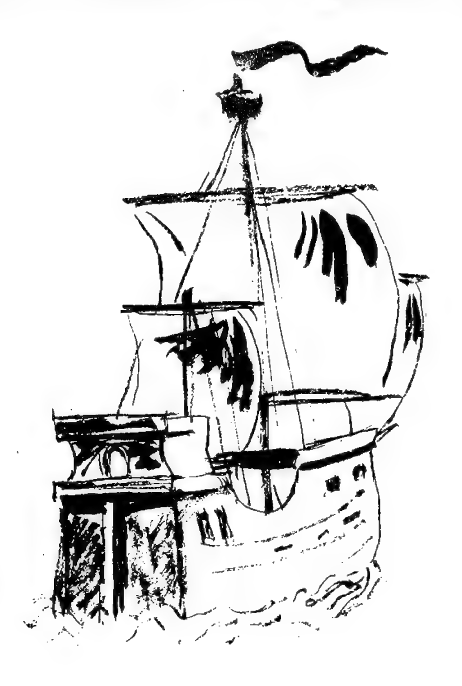
وفجأة اخذت الارض تتحرك وشعرت اني اقف في الهواء للحظة واحدة. وانفجر الماء من النبع واسقطني ارضا . ومن غير ان اعرف ما الذي افعله اخذت اركض على غير هدى وانا اعتقد ان الامواج تلاحقني وخطر على بالي الذهاب الى احد الكهوف التي اعرفها، وعندما وصلت الى هناك وجدت ان الباب كان قد اختفى بين الصخور. .

استمرت الارض بالتحرك حتى بعد ان حل الليل . كانت تتحرك كما لو أن هناك حيوانا يتحرك تحتها .

ما ان حلّ الصباح حتى هدأت الارض واخذت الرياح تهب من الشمال بعذوبة .



الفصل السادس والعشرون



لم تحدث الهزة الارضية اضرارا كثيرا في الجزيرة عدا توقف النبع عن اخراج الماء لبضعه ايام فقط. لكن تلك الهزات كلفتني كل خزيني من المؤونة وكل اسلحتي التي

صنعتها والتي اخفيتها في الكهف. وكانت اكبر خسارة تعرضت لها هو فقداني الزوارق الاربعة وزورقي الصغير الذي امضيت وقتا في صنعه.

ومن دون ان اضيع مزيدا من الوقت نزلت الى الساحل بحثا عن الاخشاب التي القتها العاصفة على الساحل وبالفعل وجدت بعضا منها مطموراً في الرمال ووجدت كذلك زورقي محطما ومغمورا بالمياه.

امضيت الليل كله في محاولة اخراجه وتنظيفه من الرمال وتجفيفه من المياه التي دخلت فيه. في البداية لم اعرف كيف ابدأ الاصلاح لكني فكرت بفك الواح هذه الزوارق وصنع زورق جديد. وبعد ان اصبح لدي خشب يكفي لصنع زورق صغير بدأت بقص هذه الاخشاب الطويلة الى نصفها ورتبتها بطريقتي القديمة وربطتها بنبات الطحالب وطليتها بالقار منعا من تسرب المياه الى داخلها.

ومع ذلك لم يكن عمل الزورق سهلا فقد استغرق مني عمله فصلي الصيف والربيع وكان عليّ ان اقوم ببعض الاشياء الصغيرة من اجل اكماله بصورة جيدة ولهذا فقد نزلت الى الشاطىء بحثا عن بعض الاخشاب الصغيرة

لاكمال الزورق . وفي اثناء بحثي التفت نحو البحر وشاهدت غيمة رصاصية اللون تتقدم نحو الجزيرة .

في لحظتها شعرت ان الغيمة الرصاصية اخذت تتحول الى سوداء ثم الى لون اخر كنت اعرفه جيدا . القيت الاعشاب والخشب من يدي وصرخت .

- زورق !

ما ان وصلت الى الصخرة الكبيرة حتى كان الزورق قد اقترب كثيرا من الجزيرة ، كان يتحرك بسرعة نحوي بفضل الرياح الموسمية وكان بأستطاعتي رؤية شكل الزورق . لم يكن زورقا تابعا للصيادين الاغراب ومع ذلك فاني لم اتذكر الرجال البيض .

ترى لماذا جاء الزورق الى جزيرة الدلافين الزرق؟

اختبأت في اعلى الصخرة وانا اسمع دقات قلبي واتساءل عما أتى بهذا الزورق الى هنا ، فلو كانوا صيادين فعلي ان اختبيء بسرعة . اما اذا كانوا مرسلين من قبل قبيلتي ففي هذه الحالة عليّ ان اكشف لهم عن مكاني .

تقدمت السفينة بهدوء بين الصخور السوداء واخذت تدخل شيئا فشيئا الى الداخل واستطعت في تلك اللحظة مشاهدة وجوه من كان على السفينة وعرفت انهم لم يكونوا

الصيادين الاغراب .

انزلوا احد الزوارق الى البحر وكان فيه رجلان جذفا به الى الشـاطىء وعندما وصلا الى الساحل نزل الشخص الملتحي بينما بقي الثاني في مكانه .

لم استـطع مشـاهد الرجل الملتحي جيدا من مكاني لكنني سمعتـه يصرخ وعنـدهـا عرفت انهم عثروا على اثاري وعرفت انه يناديني .

عند هذا الحد نزلت من الصخرة وتوجهت الى البيت ولبست على كتفي جلد عجـل البحر واخذت صندوقي الذي كنت احتفظ فيه بالقلادة وبعض الاشياء الأخرى .

وقبل ان اذهب اليهم توجهت الى المكان الذي سكن فيه اجدادي مدة طويلة وفكرت فيهم وتذكرت الساعات الـطويلة التي قضيتهـا بسعـادة في كوخي الذي شيدته وبتلك الاشياء التي صنعتها وفكرت حتى بذلك الزورق الـذي لم انته من صنعه . ومع ذلك كنت مشتاقة لرؤية اولئـك الذين حضروا الى الجزيرة لاخذي معهم وسماع اصواتهم و ضحكاتهم .

عندما لم اسمع صوت الرجل الذي كان يناديني مرة اخـرى جريت بسرعـة نحـو السـاحـل واخذت طريق

شاطىء المـرجـان وشـاهـدت بالفعل آثار اقدام الرجل فتبعتها حتى وصلت الى الشاطىء. لكنني تفاجأت حين رأيت ان الزورق كان قد غادر الجزيرة واتجه الى حيث تقف السفينة. لوّحت بيدي واخذت اصيح عليهم بكل صوتي لكن صوت الريح كان اعلى من صوتي ولم تجد كل محاولاتي نفعا في جعل الرجال يلتفتون اليَّ.

هطل المطر بشدة في تلك اللحظة واخذت حبات المطر ترتطم بوجهي بشدة ولكنني لم اتراجع الى الخلف وبقيت الوّح للزورق حتى بعد ان اختفى وغاب عن انظاري.



الفصل السابع والعشرون



مر ربيعان على وصول تلك السفينة عندما شاهدت في احد الأيام نقطة صغيرة جداً تسير في الافق . تحولت شيئا فشيئا حتى اصبحت سفينة كبيرة . وما ان اصبحت

الشمس في منتصف السماء حتى كانت السفينة قد رست قرب الشاطىء.

فضلت البقـــاء في مخبأي حتى الليل وكنت خلال النهار اتجسس عليهم وهم ينصبون خيامهم ويضرمون النار على الساحل.. وبعد ذلك رجعت الى البيت لكنني لم استـطع النوم من شدة التفكير بذلك الرجل الملتحي الذي كان يناديني في المرة الاولى.

والحقيقة اني كنت اتذكر ذلك الصوت طوال تلك المدة وكنت اذهب الى الصخرة كل يوم واجلس فوقها اراقب البحر.

في هذا الصباح ذهبت الى النبع واغتسلت فيه ولبست جلد عجل البحر وفستاني الذي صنعته من الريش ثم لبست القلادة السوداء ورسمت على وجهي خطا ازرق اشارة لوشم القرية وبعد ذلك رجعت الى البيت وطهوت بعض الطعام وقلت لرونتو ارو:

ـ سنغادر الجزيرة.

لكنه اكتفى بأن حرك رأسه جانبا ولم يقل اي شيء.

وراودني شعور مبهم عما ستكون عليه حياتي خارج الجزيرة فلم اكن اعرف طريقة حياتهم ولا كيفية التعامل معهم

وكنت افكر كيف قضى اهلي حياتهم معهم. وفي الوقت نفسه اخذت افكر بتلك الايام والفصول والسنين التي قضيتها هنا ولم اكن استطع التمييز بين هذه الايام التي عشتها وحيدة هنا. فكل شيء هنا قد اصبح جزءا مني امضيت وقتي معه بسعادة وحزن.

كنت قد رأيت اولئك الرجال قبل ان يشاهدوني وهم قادمون الى حيث كنت. كانوا ثلاثة يلبسون بدلات طويلة وعريضة. ذات لون رصاصي. وقفت في منتصف الكوخ واخذت انظر اليهم. كان الرجل الطويل الذي يحمل على كتفه خشبة لامعة قد رفع يده وعمل ايماءة ما. ثم تحدث معي احد الرجال بكلمات لم افهمها ولم اسمع بها من قبل. كنت أوشك أن اضحك لكني سيطرت على نفسي وكتمت ضحكتي.

كلمني مرة اخرى بصورة ابطأ وعندها عرفت انه كان يقصد السفينة، وعندها اشرت اليه برأسي الى السلال الثلاث التي كانت بقرب النار وافهمته برغبتي بحمل السلال معي وحمل قفص الطيور والكلب.

على الرغم من ان البيض كانوا يتكلمون فيما بينهم الا انهم كانوا يتبادلون الكثير من الاشارات حولي وعرفت

انهم ابدوا اعجابهم بقلادتي وثوبي ولكن ما ان وصلنا الى الساحل حيث كانوا يفكرون حتى عرفت انهم كانوا يريدون مني تغيير هذه الثياب التي لا تصلح وانهم كانوا يتشاورون فيما بينهم عن امكانية صنع ثوب لائق لي.

كان الثوب الذي صنعوه لي ازرق والبسوني بنطالا كالذي يلبسه البحارة. وكانوا قد قصوا بنطال احد البحارة ثم جاء احد الرجال وخاطه بأبرة رفيعة جدا وكان انف هذا الرجل طويلا رفيعا مثل الابرة التي كان يستعملها.

البسني الثوب وابتسمت كما لو ان الثوب اعجبني على الرغم من اني لم احبه وكنت افضل ثيابي القديمة المصنوعة من ريش الغربان.

بقيت السفينة في الجزيرة تسعة ايام من دون ان يصطاد الرجال اي شيء وخاصة عجول البحر ومع اني كنت اعرف مكانها الا انني كنت اهز رأسي بعلامات النفي عندما كانوا يسألونني عنها.

واستمريت على هذه الحال من الرفض حتى تركوني وشأني بعد عدة ايام.

وكنت اثناء هذا اسألهم عن أهلي بالاشارات والايماءات لكنهم لم يعرفوا ما كنت ارمي اليه الى ان

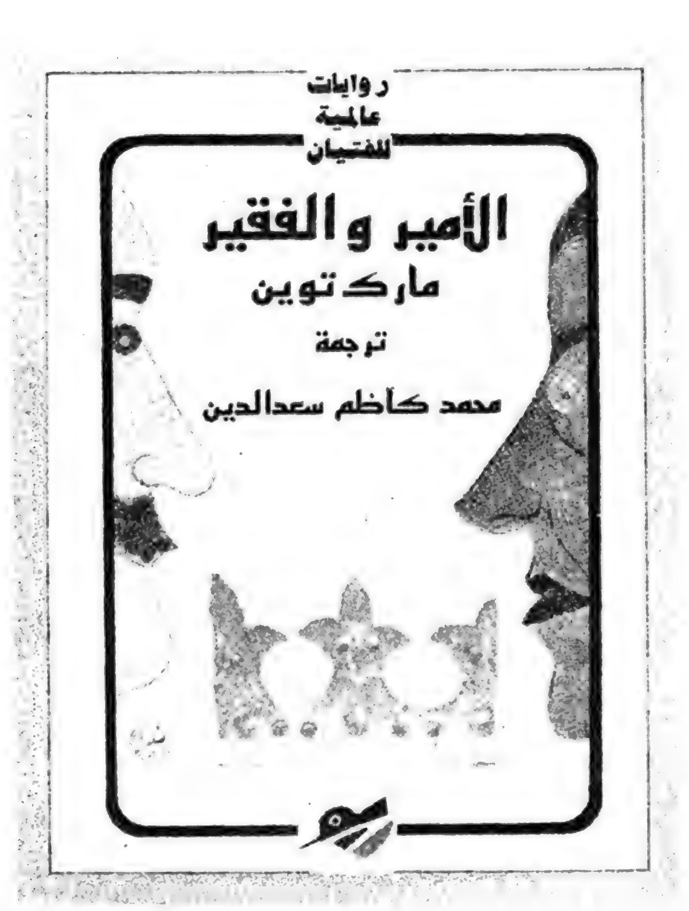
وصلنا الى فندق سانتا باربا وهناك التقيت بالقس غونزالس الذي اخبرني ان الذين ابحث عنهم قد غرقوا في عاصفة هو جاء قبل ان يصلوا الى هنا. وعندها عرفت سبب عدم مجيء السفن الى الجزيرة لانقاذي.

في اليوم الذي غادرنا فيه الجزيرة كان الجو رائعا والسماء زرقاء بلون البحر. بقيت مدة طويلة ارقب بهدوء جزيرة الدلافين وهي تختفي شيئا فشيئا حتى لم يبق منها الا تلك الصخور العالية التي كنت اطل منها في يوم من الايام لاراقب البحر. وفكرت برونتو وهو يستريح تحت تلك الصخور الملونة التي دفنته تحتها وفي عجل البحر (ون اني) وفي تلك الثعلبة الحمراء التي لم تكف عن سرقة طعامي وفكرت كذلك بزورقي الصغير الذي تركته هناك.

لم انس تلك الايام التي قضيتها بسعادة هناك وانا اشاهد الدلافين تسبح امام زوارقنا طوال ذلك الصباح وكنت استطيع مشاهدتها حتى بعد ان ابتعدت عنا كثيرا.

كانت عصافيري تغرد في تلك اللحظة في قفصها بسعادة ورونتو ارو ممدداً بهدوء عند قدمي.

صدر حديثاً

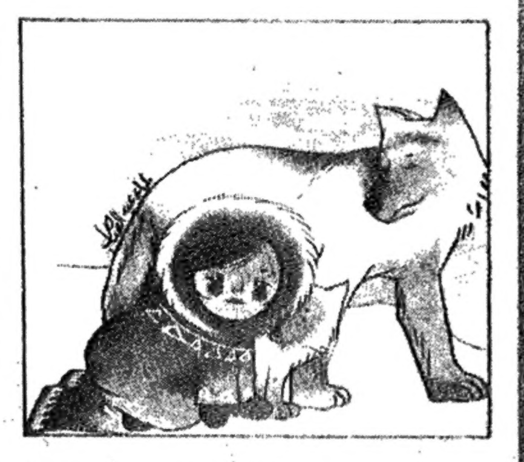


روايات
عالمية
للفتيان
الأمير والفقير
مارك توين
ترجمة
محمد كاظم سعدالدين


لاسي
ترجمة شفيق مهدي

فتاة الذئاب

جين كريكهيد جورج



ترجمة : شفيق مهدي





رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ٦٤١ لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة

دار ثقافة الاطفال

قسم النشر

روايات عالمية للفتيان

دار الحرية للطباعة